مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (١٣)

القواعد الفقهية وما تؤصله فى الداعية

إعداد
الباحث / ماهر على عبد المطلب
قسم اللغة العربية - شعبة الدراسات الإسلامية
تحت اشراف
أ .د/ حسن السيد خطاب
أستاذ الدراسات الإسلامية - كلية الآداب - جامعة المنوفية

السنة ٢٧ العدد (١٠٤) يناير ٢٠١٦م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القواعد الفقهية وما تؤصله في الداعية

الباحث/ماهر علي عبد المطلب
قسم اللغة العربية
شعبة الدارسات الإسلامية
تحت اشراف
أ.د/ حسن السيد خطاب استاذ الدراسات الاسلامية كلية الاداب – جامعة المنوفية

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعه، وبعد:

تمخضت مصادر التشريع عن علم يعد من أعظم علوم فقه الدعوة الإسلامية، ألا وهو علم القواعد الفقهية لاشتمال قواعده الكلية وما تفرع عنها بكثير من أنواع الفقه مثل: [فقه الأولويات . فقه المقاصد . فقه المآل . فقه المصالح . فقه الواقع] والتي لم تجيء على منوال واحد،بل جاءت متنوعة بحسب مصادرها إلى قواعد وردت في القرآن الكريم، وأخرى في السنة النبوية، والثالثة وردت على ألسنة الصحابة والتابعين، معظمها ورد في كتب الفقهاء عند تنظيرهم لأهم ما ورد عن أئمتهم. وتأتي هذه الدراسة بجانب غيرها من الدراسات مُعينة في بيان وتوضيح أمور هامة تجنب الساحة الدعوية خاصة والأمة الإسلامية عامة من الوقوع في المشاكل [الدعوية . الفكرية . الأخلاقية . السلوكية] وذلك بتمهيد طريق للوصول إلى منهج يقضي على ما يترتب على المشاكل السابقة من أزمات واختلافات حول قضايا مصيرية، لا يصلح فيها الاعتماد على ثقافة الآخرين والحل بين أيدينا، وإن غُيبنا عنه سنوات، وذلك في الوصول إلى أهداف متعددة تجني من خلالها الصلاح والإصلاح المنشود.

وترجع أهمية الدراسة إلى ما يلي:

١ . حاجة الدعوة الإسلامية دعاة ومدعوين إلى دراسة القواعد الفقهية وتنزيل هذه الدراسة على الواقع. فإن الناظر في جوانب حياتنا المختلفة . مادية أو معنوية، فكرية أو اجتماعية، سياسية أو اقتصادية . يجد أن ميزان فقه[١] الدعوة قد بات مختلا كل الاختلال.

ولم يقف هذا الاختلال عند جمهور المسلمين أو فئة المتمزقين عن هدي رب العالمين سبحانه، بل تعداه إلى المنتسبين للدين، ومن يحملون راية الدعوة إلى الناس أجمعين، ومرجع ذلك إلى فقدان الفقه الرشيد والعلم الصحيح. ولذا، نجد أكثر هؤلاء

[١] . فقه الواقع، فقه المصالح، فقه المصالح، فقه الأولويات، فقه المآل وغيرها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مع إخلاصهم ينشغلون بمرجوح العمل، ويتركون راجحه، وينهمكون في المفضول ويغفلون عن الفاضل.

هذا الخلل الكبير الذي أصاب الساحة الدعوية في معايير فقه الدعوة المعاصر جعلها تتخبط في حكمها على مشاكلها، ووضع الحلول المثلى لها، وفي طريقة معالجتها، فأصبحت تصغر الكبير وتكبر الصغير، وتعظم الهين، وتهون الخطير، وتهمل الفرض وتحرص على النفل، وتعترك من أجل المختلف فيه، وتصمت عن تصحيح المتفق عليه، وذلك مما يجعل الساحة الدعوية اليوم في أمس الحاجة، بل في أشد الضرورة إلى دراسة القواعد الفقهية وتطبيقها على الواقع، حتى يقتنع عقلها، ويطمئن قلبها، وتستضيء بصيرتها، وتتجه بعد ذلك إلى عمل الخير وخير العمل[1].

وترك دراسة القواعد الفقهية فيما تحويه من فقه الدعوة يؤدي إلى أضرار خطيرة، وعواقب وخيمة، أهمها:

١ . الاهتمام بالجزئيات وتفاصيلها والفروع ودقائقها مع الانشغال عن الكليات والأصول، وعدم القدرة على رد الجزئيات والفروع إلى كلياتها وأصولها، وعدم الفهم الدقيق في التفريق بين هذه وتلك.

٢ . التمسك بالتقليد والتبعية باعتبارهما صمام الأمان من التروي في مشاكل الحياة، مما ينتج عنه إغلاق باب الاجتهاد والإبداع والابتكار.

٣ . تقديم النوافل على الفرائض، والتحسينات على الحاجيات، والحاجيات على الضروريات في جميع مناح الدعوة خاصة والحياة عامة، وذلك لافتقار النهج العلمي والتفكير السليم مما يؤدي إلى الاضطراب في كل الجوانب الحياتية من دعوة وسياسة واقتصاد وتربية واجتماع وغيرها.

٤ . عدم التفريق بين الحق والرجال، والركون إلى معرفة الحق بالرجال، وليس معرفة الرجال بالحق، مما يؤدي إلى نوع من التعصب للفكرة تبعا لقائليها بغض النظر عن قربها أو بعدها من الحق، وذلك التهويل من شأنها تبعا لذلك.

٥ . حدوث كثير من المشكلات والخلافات بين الحركات التي تدعي الإصلاح، وذلك للاضطراب في تحديد فقه الدعوة، والاختلاف عليها، في حين أن الفهم الصحيح يساعد على حلها وإزالة الخلافات حولها[2].

---

[1] - في فقه الأولويات، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، د. يوسف القرضاوي، ص ١٣-٢١، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م بتصرف.

[2] - فقه الأولويات، محمد الوكيلي، تصدير الكتاب، ص : ت - ذ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٧م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويرجع سبب اختيار الموضوع إلى ما يلي:

١. إدراك الداعية لأهمية القواعد الفقهية ومكانتها وأثرها في الدعوة الإسلامية وذلك لمعرفة أحكام المسائل التي ليست بمصورة، والحوادث والوقائع التي لا تنقضي على مر الزمان.

٢. بيان أثر إلمام الداعية بالقواعد الفقهية وأثرها في ثقافته ومهارته وملكته الدعوية مما ينعكس على سلوكه الدعوي وخطابه الديني.

٣. بيان لأثر تطبيق الداعية للقواعد الفقهية على المدعوين.

٤. بيان لأثر تطبيق الداعية للقواعد الفقهية على الدعوة الإسلامية وذلك في التوصل لأحكام النوازل الدعوية وكذا في صياغة خصائص الدعوة الإسلامية، ثم عرض مقترح لقواعد دعوية مستنبطة من القواعد الفقهية.

٥. إيضاح أثر القواعد الفقهية على بعض رموز الأمة الإسلامية من الدعاة والأئمة.

خطة البحث:

يتكون البحث من تمهيد وخمسة فصول تتصدرها مقدمة وتتزيلها الخاتمة والمصادر والمراجع كالتالي:

التمهيد فنتناول فيه تعريف القاعدة الفقهية لغة واصطلاحا، وحجية القواعد الفقهية.

الفصل الأول: فيتناول أثر إلمام الداعية بالقواعد الفقهية في ثقافته وملكته الفقهية ومهارته الدعوية.

الفصل الثاني: فيتناول أثر تطبيق الداعية لقاعدة الضرورات في المدعوين.

الفصل الثالث: أثر تطبيق الداعية لقاعد درء المفاسد وجلب المصالح في المدعوين.

الفصل الرابع: أثر تطبيق الداعية للقواعد الفقهية في التوصل لأحكام الوسائل الدعوية.

الفصل الخامس: دراسة تطبيقية لأثر القواعد الفقهية في دعوة الإمام ابن رجب الحنبلي.

التمهيد

تعريف القاعدة لغة: الأصل والأساس، ومنه قواعد البناء وأساسه، قال . تعالى .: { واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل }[1].

أما اصطلاحا فيمكن أن نعرف القاعدة الفقهية بأنها:"حكم شرعي في قضية أغلبية يتعرف منها أحكام ما دخل تحتها " ذلك أن القواعد الفقهية هي قواعد تحتوي على زمرة من الأحكام الشرعية من أبواب مختلفة ويربطها جانب فقهي مشترك فالقيد

---

١) لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الأفريقي المصري الأنصاري الخزرجي ٥/ ٣٦٨٩ ط د المعارف مادة قعد والمعجم الوسيط ٢/ ٧٧٧ الطبعة الثالثة مجمع اللغة العربية . والمفردات في غريب القرآن لا بي القاسم الحسين بن محمد المعروف ب (الراغب الأصفهاني) ت ٥٠٢ هـ ٢/٥٢٨ ـ ٥٢٩ مكتبة مصطفى نزار الباز مكة ـ الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المذكور في التعريف شرعي يخرج القواعد غير الشرعية والقيد الثاني (أغلبية) يفيد بأن هذه القواعد متسمة بصفات الأغلبية وقد يند عن معظم القواعد بعض الفروع وإن كان خروج تلك الفروع لا يغير صفة العموم للقواعد ولا يحض من قيمتها"[1].

حجية القواعد الفقهية:

هو القول بجواز الاستدلال بالقواعد الفقهية على الأحكام الشرعية؛ لأن أدلة المانعين غير منتجة لدعوى عدم جواز الاستدلال بالقواعد الفقهية على الأحكام الشرعية، فإنه يفهم من النقول التي نقلت عمن يمثلون هذا الرأي أنهم يقصدون القواعد التي لم يكن أصلها نصًا من كتاب أو سنة أو لم تكن تستند إلى أدلة صريحة من كتاب أو سنة أو إجماع. ومعنى هذا: أنهم يستدلون بالقواعد الفقهية التي لها أصل من كتاب أو سنة. وذكر الندوي: أن القاعدة الفقهية تصلح أن تكون دليلا شرعيًا إذا كانت معبرة عن دليل أصولي[2]، فإذا كانت القاعدة الفقهية بمعنى الاستصحاب المعتبر عند الفقهاء، وتعبر عن هذا الدليل الأصولي، فهي تصلح أن تكون دليلا شرعيا؛ كالاستصحاب الذي تعبر عنه القاعدة، والخلاصة: أن القواعد الفقهية المستنبطة من النصوص الشرعية فإنها تعتبر دليلا عند من استنبطها من العلماء؛ لأنها مردودة إلى النص، وحجيتها راجعة إلى حجية النص[3]، والقواعد الفقهية التي تستند إلى مصادر التشريع التبعية؛ كالاستحسان، والعرف، وسد الذرائع، والاستصحاب، والمصالح المرسلة، وغيرها، تتبع تلك المصادر في الدليلية، فإذا كان الحنفية يرون الاستحسان دليلا؛ فإن القاعدة الفقهية التي بنيت على أساس الاستحسان تعتبر دليلا عندهم، وهكذا في باقي المصادر التبعية المختلف في دليليها عند الفقهاء.

إن القواعد الفقهية التي خرجت بالاستقراء تعد دليلا شرعيا، سواء أكان هذا الاستقراء يفيد الظن أم اليقين؛ لأن الظن كان في استنباط الأحكام الشرعية.

إن الاستدلال بالقواعد الفقهية يخضع لقواعد الطرح عند التعارض مع غيره من الأدلة، فكما يقدم النص على القياس والعرف إذا خالفهما، كذلك القاعدة الفقهية تطرح إذا عارضت النص، أو عارضت ما هو أقوى منها من الأدلة[4].

---

١) القواعد الفقهية مفهومها، نشأتها، تطورها، دراسة مؤلفاتها، أدلتها، مهمتها، تطبيقاتها لعلي أحمد الندوي تقديم مصطفى الزرقا ص ٤٣ ط دار القلم - دمشق - الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ - ١٩٩٨ م .

٢) القواعد الفقهية الندوي، ص ٣٣١، ط دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٣) القواعد الفقهية، د. البحاص، ص ٢٧٩.

٤) القواعد والضوابط الفقهية لأحكام المبيع، د. عبد المجيد دية، ص ٤١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول: أثر إلمام الداعية بالقواعد الفقهية

لقواعد الفقهية تأثيرها المباشر على الداعية في منهج دعوته كان لزاما
ون ملما بالقواعد الفقهية التي يظهر أثرها في ثقافته، وملكته الفقهية،
دعوية، ونتناول كل هذا في المباحث الآتية:
مبحث الأول: أثر إلمام الداعية بالقواعد الفقهية في ثقافته .
مبحث الثاني: أثر إلمام الداعية بالقواعد الفقهية في ملكته الفقهية .
مبحث الثالث: أثر إلمام الداعية بالقواعد الفقهية في مهارته الدعوية .

المبحث الأول: أثر إلمام الداعية بالقواعد الفقهية في ثقافته

لقواعد الفقهية خصائص مميزة تتفرد بها عن سائر العلوم وتجعلها ذات شخصية
سكة وصبغة منفرده وطبيعة خاصة إذ هي تضبط حركة الإنسان وتقيد تصرفاته
بمصدر محدد، فلا يخرج عن جادة الهدى، ولا يحيد عن معالم الأخلاق، ولا
يخرج عن الموازين والقيم الإلهية، لأنها تضبط الفكر الإسلامي، فلا يتأرجح مع
شهوات والأهواء والمؤثرات، ولا يندفع بحب أو كره عارض، ولا يتأثر من قول
بعصر قريب أو بعيد، فهي تقوم على مبدأ التطور والانطلاق والتجديد ضمن إطار
معه مبني على مصادر التشريع التي لا تجرد الإنسان من كل حول ولا قوة، ولا
تركه متوقعا في جحر داره منطويا على نفسه، ولا تحجر على تفكيره، بل تطلق
عقله للتفكير ومواهبه للإبداع وطاقته للإنتاج، ونشاطه للإثمار، وتجعله إنسانا
متفاعلا مع الحوادث متفاعلا مع البيئة يعيش فيها متفاعلا مع العلوم والمعارف تؤثر
ويتأثر، يقد ويفكر، يعطي ويغدق، ولكن كل هذه الأنشطة، وكل هذه القوى
والتفاعلات لا تخرج عن محور الثبات في القيم والثبات في الحقيقة[1] .

لك أننا في عصرنا الحاضر نواجه تحديات كبيرة تحاول – جاهدة – أن تصف
التشريع الإسلامي بالجمود والتخلف، وعدم مسايرته لمستجدات العصر الحديث،
وهنا كان لابد لنا من اسقاط الحواجز التي تفصل العقل البشري المتجدد عن التوجيه
القرآني المباشر الذي يخاطب العقل الذي أنيط به التكليف، وهذا الربط بين التوجيه
القرآني والعقل البشري هو الذي يكفل نمو الفكر الاسلامي[2].

واضعين نصب أعيننا الخلفاء من بعده – ﷺ – وتصدي الصحابة الفقهاء إلى
ستنباط الأحكام الشرعية العملية من الكتاب والسنة لكل ما جد من وقائع، ثم إن

ضوء عن الثقافة الإسلامية د / نادية شريف العمري ص ١٩ وما بعدها ط – مؤسسة الرسالة – بيروت
– الطبعة التاسعة ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م بتصرف .
تاريخ التشريع والفقه الإسلامي د / أحمد الطيان ص ٦ ط دار إشبيليا – السعودية – الطبعة الأولى، ١٤٢٢
هـ – ٢٠٠٢ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المجتهدين من أئمة المسلمين بذلوا أقصى جهودهم العقلية في استمداد الأحكام الشرعية من مصادرها، واستخرجوا من نصوص الشريعة وروحها ومعقولها كنوزا تشريعية ثمينة، كفلت مصالح المسلمين على اختلاف أجناسهم، وأقطارهم، ونظمهم، ومعاملاتهم، ولم تضق بحاجة من حاجاتهم.

وعلى ما تقدم يمكن إجمال الفوائد التي يمكن أن تتحقق من أثر إلمام الداعية بالقواعد الفقهية في ثقافته وهي خمس ثقافات مطلوبة لكل داعية، وهي كالتالي:

ثقافة فقه الواقع. ثقافة فقه الأولويات

ثقافة فقه الموازنات. ثقافة فقه المقاصد.

ثقافة فقه المآلات.

وسأتناول في هذا المختصر ثقافة فقه الواقع.

ثقافة فقه الواقع

لا تحتاج أمتنا إلى فقهاء في هذا الزمان يشغلون أنفسهم والعامة بما اجتهد به مالك وأبو حنيفة والشافعي وابن حنبل وغيرهم من المسائل الماضيات في أبواب الفقه المختلفة، والتي قتلها أولئك السابقون – رحمهم الله تعالى – بحثا واستدلالا وتصنيفا، وإنما تحتاج أمتنا إلى فقهاء يجددون فقه الماضين في معالجة القضايا الحادثة وتقديم الحلول الفقهية لها، إظهارا لحيوية الفقه الإسلامي [1].

فتعرف الداعية على فقه الواقع من أهم السمات المؤثرة في نجاح دعوته وسداد رأيه، ونشر فكره، وتوائمه مع المجتمع الذي يعيش فيه، والعصر الذي فيه يحيا .

ويمكن تناول ذلك في النقاط التالية:

١ . مفهوم فقه الواقع .

٢ . ثقافة فقه الواقع والسياسة الشرعية.

٣ . أهمية ثقافة فقه الواقع للداعية.

٤ . القواعد الفقهية وفقه الواقع.

١. مفهوم فقه الواقع

إن مصطلح فقه الواقع من الناحية اللفظية ليس له أصول قديمة، وذلك أنه بالرجوع إلى كتب المعالم والمفردات اتضح أن كلمة فقه هي:

حسن الإدراك، وتفقه الأمر: تفهمه وتفطنه . والفقه: الفهم والفطنة ... وهو العلم أيضا [2].

---

[1]) تاريخ التشريع والفقه الإسلامي، نفس الموضع .

[2]) الخطاب الديني، ص ٤٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

... كلمة واقع: فليس لها في موادها ومشتقاتها ما ينبني عن أي علاقة بينهما ... موضوعنا، وبهذا يعتبر إطلاق كلمة الواقع على واقع المسلمين في الدراسات ... المعاصرة أمرا حديثا، وذلك أن المصطلح اللفظي نفسه لم يكن موجودا، وأما المعنى ... فقد كان بارزا واضحا لا يخفى بحال ٠

ويقول الدكتور عبد المجيد النجار: " نعني بالواقع ما تجري عليه حياة الناس في ... المجالات المختلفة، من أنماط المعيشة، وما تستقر عليه من عادات وتقاليد وأعراف، ... وما يستجد فيها من نوازل وأحداث " (١) ٠

وإذا كانت هذه دلالة الألفاظ في معنى الواقع في الدعوى الإسلامية.

ويمكن التعبير عن فقه الواقع كمعنى تعبيريا دقيقا بالقول إنه: " النزول إلى الميدان، وإبصار الواقع الذي عليه الناس، ومعرفة مشكلاتهم ومعاناتهم واستطاعتهم ... وما يعرض لهم، وما هي النصوص التي تعرض عليهم في واقعهم في مرحلة معينة ... وما يؤجل من التكاليف لتوفير الاستطاعة " (٢).

ويعرف . أيضا . بأنه "الوقوف على ما يهم المسلمين مما يتعلق بشئونهم أو كيد أعدائهم، لتحذيرهم والنهوض واقعيا لا كلاما نظريا " (٣).

وعليه فقه الواقع مبني على دراسة الواقع المعيشي دراسة واقعية مستوعبة لكل جوانب الموضوع ومعتمدة على أصح المعلومات، وأدق البيانات والإحصاءات " (٤)

وعلى ما سبق ففقه الواقع الذي يحتاجه الداعية في عصرنا الحاضر هو: التعرف الكامل على بيئة المدعوين والإحاطة بأعرافهم وعاداتهم وأحوالهم، حتى يتسنى له التواصل معهم، والتأثير فيهم، وإسقاط النصوص إسقاطا مناسبا من خلال فهم مقاصد الإسلام وفقه النصوص " (٥).

---

(١) فقه التدين فهما وتنزيلا د / عبد المجيد النجار ص ٦٠ سلسلة كتاب الأمة العدد الثاني والعشرون مركز البحوث والدراسات وزارة الأوقاف القطرية ٠

(٢) د/ عمر عبيد حسنه في تقديمه لكتاب الإجتهاد الجماعي للتشريع الإسلامي ، سلسلة كتاب الأمة العدد الثاني وستون النشر مركز البحوث والدراسات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية القطرية ٠

(٣) فقه الواقع للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ت (١٤٢٠ هـ) ط دار الجلالين للنشر والتوزيع – الرياض – السعودية – الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٩ م ٠

(٤) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة د / يوسف القرضاوي ص ٢٢ .

(٥) تأملات في فقه الدعوى أ ٠ د / طلعت عفيفي ، د / جمال عبد الستار محمد عبدالوهاب ص ١٧٥ ط الجمعية الشرعية الرئيسية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية هيئة العلماء مصر – إعداد الدعاة ٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ . ثقافة فقه الواقع والسياسة الشرعية

ترتكز السياسة الشرعية على فقه النصوص الجزئية في إطار المقاصد الكلية، وترتكز كذلك على (فقه الواقع) المعيش، والعلم به علما يتيح للناظر الحكم عليه حكما صحيحا، فقد قالوا في المنطق: الحكم على الشئ فرع عن تصوره .

وفقه الواقع يقوم على دراسته على الطبيعة – لا على الورق دراسة علمية موضوعية، تستكشف جميع أبعاده وعناصره بإيجابياته وسلبياته، والعوامل المؤثرة فيه، بعيد عن التهوين والتهويل، وبمعزل عن النظرات المثالية الحالمة، والنظرات الانهزامية المتشائمة، والنظرات التبريرية، التي تريد أن تسوغ كل شئ، وإن كان أبعد ما يكون عن الحق، وأن تعطيه – بالتكلف والاعتساف – سندا من الشرع .

إن دراسة هذا الواقع لابد منه لكل فقيه، ولكل فقه داعية في أي باب من أبوابه، ولكنه أوجب ما يكون، وألزم ما يكون، في باب السياسة الشرعية، لأنه فقه يتصل بعموم الناس، وبقرارات وأنظمة وأوضاع تمس حياة الجماهير الغفيرة، ولأنه واقع دائم التجدد والتغيير، فلابد أن يكافئه فقه متجدد، يراعي تغيير الزمان والمكان وأحوال الإنسان.

وهذا الفقه المتجدد الذي يحتاجه الداعية هو ما سجلته القواعد الفقهية في قاعدة: [لا ينكر تغير الأحكام المبنية على المصلحة والعرف بتغيير الأزمان والأمكنة والأحوال].

وبهذه القاعدة الفرعية والتي تندرج تحت القاعدة الكلية [العادة محكمة][1] وهو ما سيأتي بيانه يستطيع الداعية أن يكتسب [الثقافة الواقعية] وهي من أهم ما يلزم الداعية أن يتسلح بها، ونعني بها الثقافة المستمدة من واقع الحياة الحاضرة، وما يدور به الفلك في دنيا الناس الآن. في داخل العالم الإسلامي وخارجه.

فلا يكفي الداعية أن يكون قد حصّل العلوم الإنسانية، وجال في مراجع اللغة والأدب والتاريخ وأخذ خطة من العوم الإنسانية، والعلوم التجريبية، ولكنه مع هذا لا يعرف عالمه الذي يعيش فيه، وما يسوده من مذاهب، وما يحركه من عوامل، وما يجري فيه من تيارات، وما يعاني أهله من متاعب.

على الداعية على ضوء هذه القاعدة الفقهية أن يتعرف على بيئته الواقعية، وما يسودها من أوضاع وتقاليد، وما تقاسيه من صراع المشكلات، ويشغل أهلها من قضايا وأفكار.

[1] الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١٥٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن الداعية الواعي لا ينجح في دعوته ما لم يعرف من يدعوهم،وكيف يدعوهم؟ وماذا يقدم معهم وماذا يؤخر ؟[1] ولهذا حين بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: "إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله،فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترضه عليهم خمس صوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك بها فخذ منهم وتوقّ كرائم أموالهم، واتقي دعوة المظلوم، فإن ليس بينه وبين الله حجاب"[2]. ومن خلال هذا النص يؤخذ: كيف علم النبي ﷺ معاذ بن جبل الثقافة الواقعية في دعوته لأهل الكتاب، ويؤخذ أيضا أنه لو كانوا مجوسا أو ملاحدة أو نحو ذلك لكان عليه أن يدعوهم بطريقة أخرى.

٣ . أهمية ثقافة فقه الواقع للداعية

إن التعرف على فقه الواقع من أهم السمات الواجب توافرها للداعية، وذلك لأن الخلل في فهم واقع المدعو يؤثر تأثيرا بالغ الخطورة في تقبل دعوته، أو التأثير والقناعة بها، وكذلك يؤدي في أحيان كثيرة إلى إصدار أحكام في غير محلها، وإسقاط نصوص على غيرها لتهاوي مدلولها، وإصدار فتاوى خاطئة، واتخاذ مواقف شائنة [3].

وعليه فإن "دراسة المجتمعات، وفهم واقعها وتاريخها، وثقافتها وعادتها الاجتماعية هو الذي يوضح لنا كيفيات وآليات التعامل معها ومواصفات خطابها، والفقه الذي يمكننا من التدرج في الأخذ بيدها إلى تقويم سلوكها بشرع الله " [4] .

وبهذا يتضح "أن معرفة الواقع للوصول إلى الحكم الشرعي واجب مهم من الواجبات التي يجب أن يقوم بها طائفة مختصة من طلاب العلم المسلمين النبهاء، كأي علم من العلوم الشرعية أو الاجتماعية[5].

ومن هنا يجب على الداعية في عصرنا أن يتسلح بسلاح الثقافة الواقعية التي تستمد من واقع الحياة المعاصرة. فالداعية حين يتسلح بهذه الثقافة تكون الاستجابة له أبلغ والتأثير بكلامه أعظم، والتعلق به أكبر، واحترام الناس له أسمى وأفضل. وبدون هذه الثقافة لا يمكن للداعية بحال أن يعطي غيره، وينفع أمته، ويصلح مجتمعه،

---

[1] سلسلة مدرسة الدعاة فصول هادفة في فقه الدعوة والداعية. عبد الله ناصح علوان، ص ٣١٢، ط دار السلام، مصر، الطبعة السابعة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

[2] البخاري مع الفتح كتاب المغازي باب غزوة الفتح في رمضان، الحديث (٤٣٤٧)، ٨/٨٧.

[3] تأملات فقه الدعوى ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

[4] الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع الدعوي والإمكان – لمنصور روبد المطيري ص ١٢ لتقديم سلسلة كتاب الأمة العدد الثالث والثلاثون ط أخبار اليوم الطبعة الأولى يناير ١٩٩٣ م . تقديم د / عمر عبيد حسنه

[5] فقه الواقع للألباني ص ٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويعالج آفات القلوب، ولا يمكن أيضا أن يكون داعية موفقا ناجحا، له في الأمة أثر وفي الناس محبة وإجلال[1].

٤ . القواعد الفقهية وفقه الواقع

باستقراء القواعد الفقهية التي تدلل على فقه الواقع والتي تستجيب لحل كثير من المسائل والحوادث الجديدة تبين منها ما يلي:

أولا: القاعدة الكلية: العادة محكمة [2]:

وهي القواعد الكلية المتفرعة عنها في هذا الصدد ما يلي:

١- استعمال الناس حجة يجب العمل بها .

٢- لا ينكر تغير الأحكام (المبنية على المصلحة والعرف)بتغير الأزمان والأمكنة والأحوال

٣- المعروف عرفا كالمشروط شرطا .

٤- التعيين بالعرف، كالتعيين بالنص .

٥- تعتبر العادة إذا طردت أو غلبت .

٦- العبرة للغالب الشائع لا القليل النادر .

ثانيا: القاعدة الكلية: المشقة تجلب التيسير [3]:

وما يتفرع عنها من القواعد الكلية التالية:

١- إذا ضاق الأمر اتسع .

٢- إذا اتسع الأمر ضاق .

فالناظر إلى هذه القواعد يدرك ما بها من سعة ومرونة، بجانب إحاطتها بكثير من الفروع والمسائل التي تدلل على سعة آفاق الفقه الإسلامي، وكفائته الكاملة لتقديم الحلول الناجحة للمسائل والمشكلات المستحدثة، وصلاحيته لمسايرة الحياة ومناسبته لجميع الأزمنة والأمكنة .

أثر القواعد الفقهية على الداعية في فقه الواقع:

من خلال القواعد الفقهية السابقة والعرض المبسط لأثرها في فقه الواقع عامة نستطيع أن نلخص فائدة [فقه الواقع] على الداعية وأثره على الدعوة والمدعوين في الأمور الآتية:

١ . أنه لا يجعل الداعية في واد وأمته في واد آخر، بمعنى أن يكون الداعية يؤصل لقضية من قضايا الدين وأمته تحتاج إلى قضية أخرى، خذ مثالا عندما انتهت

---

[1]) سلسلة مدرسة الدعاة، ص ٣١٩.
[2]) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ١٥٨ والقواعد الفقهية للندوي ص ٦٥ .
[3]) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ١٣٧ القواعد الفقهية للندوي ص ٢٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لمؤتمرات المؤتمر الاقتصادي بشرح الشيخ[1]، وبدأت فعاليات مؤتمر القمة العربية وفي الوقت الذي تتعرض فه اليمن للفكك والانهيار ووسط الهيمنة والنفوذ لبعض الدول الإقليمية [إيران] مما يؤثر سلبيا على الأمن القومي العربي عامة والأمن التوفي المصري خاصة. والمتمثل في [باب الندب] والحاجة الداعية إلى تكاثف عربي بما يقتضي من الداعية التركيز والتبصير بهذه القضايا لحاجة الأمة العربية والإسلامية إليها نجد بعض الأئمة يتكلمون عن العتاد وموقعة من الشرح والبعض يتحدث عن التصوير وتقصير الثياب وإطلاق اللحية، فهل هؤلاء الدعاة فاهمون لواقعهم؟ وأيضا نكلم بعض الخطباء عن الطهارة للرجال والنساء، ولا يحسن أن يتكلم غلا عن هذا بينما الدولة تتجرع الآلام لكثرة شهداء الواجب والوطن من الجيش والشرطة والمدنيين على يد الإرهاب الأسود في سيناء وكل ربوع الوطن[2].

٢. يجعل الداعية محيطا بحياة الناس.

٣. أن فقه الواقع يجذب المدعوين إلى الداعية عندما يشعرون أن مرجعيتهم ليس رغيبا عن الواقع.

٤. يستطيع الداعية بالاستدلال بفقة الواقع أن يؤثر فيمن حوله.

٥. نستطيع الداعية من خلال فقه الواقع الوقوف على معرفة الأخطار التي تحدق بالأمة وبما يخطط له أعداء الأمة.

٦. معرفة عادات الناس وتقاليدهم بحيث لا يخرج عنها، فإن دراسة المجتمعات وثقافاتها وعاداتها الاجتماعية هو الذي يوضح لنا كيفيات وآليات التعامل معها ومواصفات خطابها، والفقه الذي ولكننا من التدرج في الأخذ بيدها إلى تقديم سلوكها بشرع الله[3].

المبحث الثاني: أثر إلمام الداعية بالقواعد الفقهية في ملكته الفقهية

إن القواعد الفقهية لها أهمية قصوى في تكوين الملكة الفقهية لدى الداعية مما تجعله فقيها ومفتيا لأن القواعد تجمع الفروع والجزئيات تحت القاعدة في معظم أبواب الفقه المختلفة فيسهل الرجوع إليها والإحاطة بها.

فالقواعد الفقهية لها مزايا متعددة وسمات متنوعة تتحقق من دراستها، وقد لعبت دورا هاما في تنظيم الفروع الفقهية بصفة عامة وفي التفقه واكتساب الملكة العامية

---

[1]) المؤتمر الاقتصادي بشرح الشيخ المعقدة في الفترة، ١٣، ١٤، ١٥ مارس ٢٠١٥.

[2]) التي كان آخرها عند كتابة هذه السطور حادثة العريش والشيخ زويد التي راح ضحيتها ١٨ مجند و ٤ مدنيين في الثاني من إبرايل عام ٢٠١٥. البوابة العدد ١١٨، الصفحة الأولى، الجمعة ٣ أبريل ٢٠١٥م.

[3]) الصيغ الإسلامية لعلم الاجتماع الدواعي والإمكان، منصور نود الطيري، ص ١٤. ط أخبار اليوم، إدارة الكتب والمكتبات، الطبعة ١٩٩٣م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بصفة خاصة بما تقوم به من تصوير بارع للمبادئ الفقهية وكشف آفاقها الواسعة وحصر مسالكها المتشعبة، وضبطها لفروع الأحكام العلمية بضوابط وقوانين في شكل مجموعات على أساس اشتراك كل مجموعة في العلل أو وحدة المناط سواء اختلفت موضوعاتها وأبوابها أو اتحدت[1] .

إحياء الاجتهاد والعمل به

مما لا شك فيه أن الاجتهاد أهمية بالغة في كل العصور، ذلك أن مصالح الناس لا تنتهي، وما يستجد لهم من أحداث ووقائع لا يتصور أن يكون لها نهاية محددة، إلا عندما يأتي أمر الله . ولابد من حكم الله تعالى في كل واقعة مستحدثة . ومن هنا كان الاجتهاد في عصر ضرورة ملحة فقد ذهب جمع من علماء الأصول إلى أن الأرض لا تخلو من مجتهد أبدا حتى يأتيها أمر الله إذ لابد من وجود مجتهد قائم بحجج الله، يبين للناس حكم الله في كل ما يستجد من أحداث .

جاء عن الشوكاني في هذا الموضوع: أنه لا يجوز خلو الزمان عن مجتهد قائم بحجج الله يبين للناس ما نزل إليهم ولابد بأن يكون في كل قطر من مجتهد فإنه يتأتى فرض الكفاية بالمجتهد المقيد والظاهر أنه لا يتأتى في الفتوى[2]. ويبان ذلك من خلال ثلاثة فروع:

الفرع الأول: مفهوم الاجتهاد .

الفرع الثاني: الاجتهاد في الوقت الحاضر .

الفرع الثالث: الاجتهاد والقواعد الفقهية .

الفرع الأول: مفهوم الاجتهاد

الاجتهاد لغة: من مادة: ج- هـ - د - والجهد: بالضم لغة الحجازيين، وبالفتح لغة غيرهم، أي الوسع والطاقة . واجتهد في الأمر أي: بذل وسعه وطاقته في طلبه ليصل به إلى نهايته .

فالاجتهاد في اللغة: بذل الجهد، واستفراغ الوسع في تحقيق أمر من الأمور يستلزم الكلفة والمشقة[3]

وفي اصطلاح الأصوليين: عرف الاجتهاد عند الأصوليين بتعريفات متعددة نذكر منها ما يلي:

---

[1]) إيضاح المسالك إلى مذهب مالك ص ١٢٢ .

[2]) ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام محمد بن على بن محمد الشوكاني ت(١٢٥٥ هـ) ص ٣٧٤ ط دار لكتب العلمية - بيروت . المسألة الثانية: هل يجوز خلو العصر عن المجتهدين أم لا .

[3]) كشاف اصطلاحات الفنون ٩٩/١ باب الجيم فصل الدال .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- الاجتهاد هو: استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظني بحكم شرعي . وهذا هو المراد بقولهم: بذل المجهود لنيل المقصود[١]

وعرفه الإمام الغزالي بقوله: الاجتهاد بذل الطاقة من الفقيه في تحصيل حكم شرعي ظني[٢].

الفرع الثاني: الاجتهاد في الوقت الحاضر

الاجتهاد في الوقت الحاضر، ربما يكون أكثر لزوما وأشد إلحاحا، من أي وقت آخر، فقد تعقدت الحياة وازدادت الوقائع، وجدت أمور لم يكن السابقون على عهد بها، غير أن الصعوبة تتركز في شروط الاجتهاد ومدى تحققها في الوقت الحاضر . وهو أمر من الناحية النظرية ممكن عقلا وشرعا[٣] .

فالله سبحانه حينما أنعم على السلف الصالح – من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين بكمال الفهم . وقوة الإدراك والاستعداد للمعارف، لم يجعل ذلك مقصورا على فئة من الناس دون فئة، لأنه سبحانه رب الجميع، وصاحب الفضل على الجميع، يعطي بغير حساب . فلا يصح عقلا الادعاء بأن الله رفع ما تفضل به على عبادة، بل هذه دعوى من أبطل الباطلات بل هي جهالة من الجهالات[٤] .

وأما شرعا فلا يخفى أن الاجتهاد قد يسره الله تعالى تيسيرا لم يكن للسابقين . فالتفاسير للكتاب العزيز قد دونت، وصارت من الكثرة إلى حد لا يمكن حصره، والسنة المطهرة قد دونت وتكلم علماء الأمة عن التعديل والتجريح والتصحيح والترجيح بما هو زيادة على ما يحتاج إليه المجتهد .

وقد كان السلف الصالح يرحل للحديث الواحد من قطر إلى قطر[٥] .

وهكذا فلا يوجد مانع لا عقلا ولا شرعا من إمكان الاجتهاد في العصر الحاضر بل يوجد المقتضى لذلك حتما.

الفرع الثالث: الاجتهاد والقواعد الفقهية

وباستقراء القواعد الفقهية المؤكدة على هذا المفهوم تبين منها ما يلي[٦]:

---

١) شرح التلويح على التوضيح للتفتازاني ١١٧/٢ .

٢) التقييد الظني إحترازا عن نحو الأركان الأربعة وحرمة الزنا والشرب والغصب من الضروريات الدينية . المستصفى من علم الأصول لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ومعه كتاب فواتح الرحموت لعبد العلي محمد نظام الدين الأنصاري ٣٦٢/٢ ط دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

٣) أصول الأحكام الشرعية – القسم الثاني د / يوسف قاسم ص ٢٨٩ الطبعة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

٤) إرشاد الفحول للشوكاني ص ٣٧٦ المسألة الثانية: هل يجوز خلو العصر من المجتهدين أم لا .

٥) المرجع السابق نفس الموضع بتصرف .

٦) هذه القاعدة من القواعد المندرجة تحت القاعدة الكلية العادة محكمة والمتفرع عنها احدى عشر قاعدة رسائل ابن عابدين ١١٤/٢ . والأشباه والنظائر للسيوطي ص ١٥٨، ١٧٨، الفروق ١٧٦/١، ١٧٧ والموافقات ٢٢٠/٢، ٢٢١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القاعدة الأولى: قاعدة لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال.
القاعدة الثانية: الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد.
القاعدة الثالثة: لا مساغ للاجتهاد في مورد النص.
القاعدة الرابعة: لا ينكر المختلف فيه، وإنما ينكر المجمع عليه[1].

ومن خلال هذه القواعد نخلص إلى أثر القواعد الفقهية على ملكة الداعية في مجال الدعوة الإسلامية من خلال التالي:

أولا: الداعية المنشود:

والداعية الذي نعنيه في هذه الدراسة: هو الرجل الذي جَنَّد كل طاقاته وسخَّر كل أوقاته لصالح دعوته التي صارت همه بالليل، وشغله بالنهار، فأوقف نفسه لها موقنا أن الراحة الحقيقة ليست في هذه الحياة، بل هي في الدار الآخرة، حيث يفوز بالسعادة الغالية، وقد سئل الإمام أحمد . رحمه الله تعالى . متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال: عند أول قدم يضعها في الجنة[2]، إن الداعية ليس مجرد خطيب يلقي كلمة على أسماع الناس، ثم يرحل عنهم، لا يهمه إقبالهم عليه، أو إدبارهم عنه، فالخطيب خطيب وكفي، أما الداعية: فإنه . كما ذكر . الأستاذ البهي الخولي . رحمه الله تعالى .: "المؤمن بفكرة يدعو إليها بالكتابة والخطابة، والحديث العادي، والعمل الجدي في سيرته الخاصة والعامة، وبكل ما يستطيع من وسائل الدعاية، فهو كاتب وخطيب ومحدث وقدوة، ويؤثر في الناس بعمله وشخصه ... والداعية . أيضًا .: طبيب اجتماعي يعالج أمراض النفوس، ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة، فهو ناقد بصير يقف حياته على الإصلاح إلى ما شاء الله"[3].

هذا؛ ولا بد للداعية من قدر مناسب من المعارف الفقهية، وإذا كان الداعية يلتزم مذهبا من المذاهب الفقهية المتبوعة، فلا يمنعه هذا من التعرف على أدلة مذهبه ليطمئن قلبه، ويحسن بالداعية أن يتعرف على المذاهب الأخرى، وبخاصة التي يتبعها بعض من يدعوهم، فينبغي له أن يُلِمّ بأهم ما يتميز به مذهب البلد عن مذهبه، حتى لا ينكر على الناس ما لا يجوز أن ينكر.

وتبدو هنا أهمية ربط الكثير من المواقف الدعوية بالقواعد والضوابط الشرعية والاستشهاد بالقواعد الأصولية والفقهية على الأحكام والمواقف الدعوية؛ ليطم الدعاة

---

[1] الأشباه والنظائر للسيوطي، ١/ ٣٤١.
[2] عدة الداعية، د. فرج محمد الوصيف، ص ٢٥، ٢٦، ط إيك كويس سنتر، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
[3] السابق، ص ١١٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحكام الدعوة في الإسلام لا تختلف في طبيعتها ومصادرها عن غيرها من أحكام الفقهية والفقهية ... وأن الأحكام الشرعية: التكليفية منها والوضعية، تستوعب جميع النشاطات الدعوية كما تستوعب غيرها من النشاطات. وكما يقول الدكتور عبد الله شحاته: "الفقهاء يذكرون أن الفقه الإسلامي مرّ بمراحل مختلفة يمر بها الكائن؛ وهو دور النشأة والنمو، ودور النضج والكمال، ثم دور التقليد والجمود، وأخيرًا دور الفقه الفقهية ... وما يقال عن الفقه يمكن أن يقال عن الدعوة الإسلامية"[1].

أنموذج تطبيقي:

كان للتطور العالمي في ميدان التقنية العلمية والتنمية الاقتصادية والعلاقات بين الدول والشعوب واتساع التجارة وقيام الغرف التجارية ووجود أوضاع حديثة في كثير من ميادين الحياة، اقتضى ذلك كله، وضع تنظيمات إدارية متعددة، واستنباط أحكام جديدة تناسب أوضاع الناس وتتمشى مع نمط حياتهم ومن ذلك:

إلزام كل أحد بأن يحمل جواز سفر لا يستطيع السفر إلى خارج حدود البلاد التي هو منها إلا به.

ومنها: إلزام أصحاب السيارات على اختلاف أنواعها بالترخيص من دائرة الترخيص أو المرور ولا يتم الترخيص إلا بالتأمين على السيارة تأمينا شاملا أو ضد الغير مما جعل العلماء يبحثون في موضوع التأمين وهل يجوز أو لا يجوز وما هي الحالات التي يجوز التأمين فيها ... الخ[2] .

ومنها: إنشاء المدارس، ومراحل التعليم المختلفة والجامعات بأنواعها . ومنها إنشاء المحاكم على درجات مختلفة، وتجدد أحكام القضاة والمفتين بناء على الحوادث التي لا عهد للسلف بها ولم ترد في كتبهم، فيستنبطون لها أحكاما طبق القواعد التي أتت بها الشريعة وسيستمر هذا ما بقيت الحوادث متجددة، والأعراف متغيرة وما ظلت حاجة الناس إلى القضاء والإفتاء، وهذا باق حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهكذا في جميع المجالات نجد مرونة وسماحة في النواحي العملية والتطبيقية مما يتصل بالطرائق والأساليب لا بالمبادئ والأهداف .

بناء على ذلك: فالمجتمع المسلم مساير لركب التقدم والتطور لا مانع أن يأخذ بأحدث الطرق والأساليب في تعبئة الجيوش أو في تنظيم المواصلات أو في توزيع البريد أو في تحسين الإنتاج أو في تحديث الصناعة أو الزراعة، أو في تخطيط

---

[1] الدعوة الإسلامية والإعلام الديني، د. عبد الله شحاتة، ص ١١، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م

[2] نظرية العرف، د. عبد العزيز الخياط ص ٩٣ عمان - الأردن .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القرى والمدن أو في حفظ الصحة العامة، ومقاومة الأوبئة أو في تسخير القوى الكونية بسلطان العلم لمصلحة الإنسان أو نحو ذلك من كل ما يتعلق بالجانب العلمي والإبداع المادي، والتنظيم العملي بشرط أن لا يصطدم بأحكام الإسلام وقواعد الإسلام[1] .

المبحث الثالث: أثر إلمام الداعية بالقواعد الفقهية في مهارته الدعوية

من خلال الإلمام بالقواعد الفقهية تتعدد المهارات الدعوية اللازمة للداعية ما بين مهارات اتصالية لفظية وغير لفظية، ومهارات أداء جسمية كبرى وأخرى دقيقة التناسق، ونظرا لتعدد هذه المهارات وتنوعها فإنني سأقتصر هنا على ذكر أهمها رغم شعوري بأهمية استيفائها لما لها من أثر بالغ في تطوير أداء الداعية والارتقاء بمستوى ممارسته الفعلية، فالزمن الذي نعيش زمن يتطلب إتقان مهارات متعددة تمكن الدعاة من مسايرة التطور ومتابعة الجديد والحديث من الأفكار والأشياء والمبتكرات التكنولوجية، وليس من المبالغة القول أن قيمة الفرد غدت مرهونة بما يمتلكه من مهارات وقدرات فعلية، وإلا فأين نجد مكان للداعية الذي لا يجيد استخدام الحاسوب، أو عرض الدورات التدريبية أو التمكن من مهارات التواصل والتخاطب الفعال وغيرها في العملية الدعوية المعاصرة، وأن له التقدم والتميز إن افتقر لتلك المهارات الحيوية اللازمة . وهذا يتطلب من الداعية تواصل البحث عن الارتقاء بذاته وتنمية مهاراته باستمرار وإلا أصبح الداعية إنسانا عاديا في زمن فقد فيه الاعتيادي قيمته وأصبح التميز والابتكار والجديد هو رائد العصر ومطلب الجميع .

وفي هذا المبحث سأقف على مهارات دعوية ضرورية للداعية لا غنى له عنها يجمع بينها أنها من أهم مطالب الدعوة الحديثة وهي تشمل مهارات: السؤال والجواب، والحوار والمناقشة، وحل المشكلات، وتعليم الفكر، والمهارات لا تتحقق فعليا إلا من خلال التدريب والممارسة الفعلية، وهدفي هنا أن أقف على أبعادها الإدراكية تمهيدا ليأخذها الداعية إلى الميدان فيطبقها ويمارسها حتى تصبح له عادة فيكون متقنا مهاراتها ومتمكنا منها، وبعون الله وبتوفيه أبدأ باستقرائها وتوضيحها وهي:

- مهارة السؤال والجواب
- مهارة الحوار والمناقشة.
- مهارة التفكير.
- مهارة حل المشكلات.
- مهارة الخروج من الخلاف.
- مهارة إدارة المخاطر (حل الأزمات).

وسأكتفي في هذا المختصر بالحديث عن مهارة السؤال والجواب.

[1] الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي ص ١٩٤/١ ط دار غريب للطباعة - القاهرة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مهارة السؤال والجواب

تعد مهارة السؤال والجواب من أكثر المهارات حضورا وشهودا في المواقف
عوية إذ قلما تخلوا من إثارة التساؤلات وتوجيهها وتلقي الإجابة عليها، وإتقان
داعية لمهارة توجيه الأسئلة وتلقي الإجابات وحسن التعامل معها من أقوم دعائم
جاحه في الدعوة، وقد ركز الأدب التربوي الإسلامي على السؤال حيث تضمن القرآن
الكريم العديد من الآيات التي تحث على السؤال وتدعو إليه، ولم يكتفي القرآن الكريم
بذلك بل إننا نجده قد قعد أصوله ووجه عملياته العقلية بمنهجية تربوية ثانية، كما
طبقه الرسول – ﷺ – في مواقف تربوية وحياتية مختلفة – وتناوله التربويون
المسلمون في رسائلهم وكتبهم.

ومن خلال استقراء استخدامات القرآن الكريم للسؤال نتبين أن القرآن قد حس على السؤال وعده من أهم أساليب التعلم والتعليم، والبحث والاستكشاف، وجعل ميدانه واسعا يشمل ظواهر الحياة ومشاهدها كلها .

كما استخدم الرسول – ﷺ – السؤال في تعليمه وتربيته للصحابة – ﷺ -- وتتعدد الشواهد التي روتها كتب الأحاديث والسنن للسؤال التي استخدمها الرسول – ﷺ – مما يبهرك بما فيه من دقة التوجيه للسؤال وكريم التعامل مع الاستجابات بأسلوب تربوي بديع، من ذلك ما رواه معاذ بن جبل – ﷺ – قال: قال رسول الله – ﷺ –: " ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد"[1].

كما ظهر الاهتمام بالسؤال والجواب في القواعد الفقهية حيث استنار الفقهاء والأصوليون بالتوجيهات القرآنية والنبوية السامية في مجال القواعد الفقهية ونوضح ذلك من خلال خمسة فروع:

الفرع الأول: مفهوم السؤال .

الفرع الثاني: السؤال والجواب في القواعد الفقهية .

[1] الحديث أخرجه الترمذي كتاب الإيمان/ باب ما جاء في حرمة الصلاة رقم ٢٦١٦، ١١/٥، وقال هذا حديث حسن صحيح وابن ماجة في السنن كتاب الفتن/ باب كف اللسان في الفتنة رقم ٣٩٧٣، ١٣١٤/٢ ، للحافظ أبي عبد الله بن يزيد القزويني توفي ٢٧٥ هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفرع الأول: مفهوم السؤال

قال الأصفهاني[1]: ورد الفعل سأل ومشتقاته في القرآن الكريم بما ينيف عن المائة والثلاثين مرة، وجاءت لتدل على معنيين، أولهما هو طلب معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة، وثانيهما هو طلب مال أو ما يؤدي إلى المال[2].

مفهوم السؤال اصطلاحا:

هو عبارة عن جملة تبدأ بأداة استفهام توجه إلى شخص معين للاستفسار عن معلومة معينة، ويعمل هذا الشخص فكره في معناها ليجيب بإجابة تتفق مع ما تتطلبه هذه الجملة من استفسارات [3].

مفهوم المهارة (مهارة إلقاء الأسئلة):

تعرف مهارة القاء الأسئلة بأنها مجموعة الأداءات التي يقوم بها الداعية في الموقف الدعوي، وتظهر من خلالها مدى معرفته بالأساسيات الواجب اتباعها عند التخطيط للسؤال (صياغة السؤال) ومدى استخدامه لجميع أنماط الأسئلة، وإجادته لأساليب توجيه السؤال، والأساليب المتبعة في معالجة إجابات المدعوين[4].

الفرع الثاني: السؤال والجواب في القواعد الفقهية

جاءت القواعد الفقهية تحاكي مصدري التشريع [الكتاب والسنة] في السؤال والجواب كمهارة تربوية في التعليم والتعلم. فالأسئلة التي وجهت للنبي ﷺ من الطوائف المختلفة . المسلمين والمشركين واليهود . تناولت المسألتان الآتيتان:

المسألة الأولى: الصيغ التي حكيت بها الأسئلة في القرآن والكريم من السؤال . الاستفهام . وصيغ الاستفهام الأخرى.

المسألة الثانية: الأغراض التي وجهت من أجلها المسألة إلى النبي ﷺ وهي الاستعلام في أسئلة المسلمين، والامتحان في أسئلة اليهود، والتعجيز والاختبار في أسئلة المشركين[5].

---

[1] الأصفهاني الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل صاحب التصانيف، كان من أذكياء المتكلمين، توفي سنة ٥٠٢هـ. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢٩٧/٢ للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، توفي ٩١١هـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، طبعة المكتبة العصرية، بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، الطبعة الأولى. سير أعلام النبلاء ١٢٠/١٨.

[2] المفردات في غريب القرآن ص ٢٥٥ .

[3] مهارات التدريس رؤية في نقل التدريس لحسن حسين زيتون ط عالم الكتب – القاهرة – الطبعة ٢٠٠١م بتصرف.

[4] السابق نفس الموضع بتصرف .

[5] الأسئلة والأجوبة في القرآن الكريم، ص ١٠، عفاف محمد سعيد، رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه الشواهد من القواعد الفقهية المستدل بها على هذه المهارة ما هي إلا اقتباس من أسلوب القرآن الكريم في هذا الصدد، وهذا ما ذكره الإمام السيوطي بقوله "وها هي أسئلة المسلمين للنبي ﷺ في القرآن الكريم والخالص منها اثنا عشرة مسألة كما صحت به الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما[1].

ذكر من هذه الأسئلة الاثنا عشر ما هي ذات صلة بقضايا المرأة ومنها:

١. الاستفتاء في النساء:قال . تعالى .: { قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ۝ ﴾ [2].

٢. الاستفتاء في الكلالة: قال . تعالى .: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۝ ﴾ [3].

٣. السؤال عن المحيض: قال . تعالى .: { قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ۝ ﴾ [4].

ويتضح لنا من خلال نقل الإمام السيوطي وحصره، ونقله للسؤال في القرآن الكريم مدى تأثره بهذه المهارة [السؤال والجواب] في دعوته مفسرا ومحدثا، ونقله لهذه المهارة والتقعيد لها فقهيا مما دفعه مع غيره لجمع القواعد الفقهية المختلف فيها والمبدوءة بالاستفهام عامة، وفي هذا الصدد سالف الذكر [المرأة] وموافقته لها تقعيدا أو نقلا مثل:

١. قاعدة: الأصل أن جواب السؤال يجري على حسب ما تعارف كل قوم في مكانهم[5].

٢. قاعدة: الأصل أن السؤال والخطاب يمضي على ما عم وغلب لا على ما شذ وندر[6].

٣. قاعدة: حمل الكلام على زيادة الفائدة أولى من حمله على التكرار لغير فائدة[7].

٤. قاعدة: الظهار، هل المغلوب فيه مشابهة الطلاق، أو مشابهة اليمين[8].

٥. قاعدة: الطلاق الرجعي. هل يقطع بالنكاح أو لا؟ قولان[9].

---

(1) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ٢٥٩/١.
(2) سورة النساء [الآية: ١٢٧].
(3) سورة النساء [الآية: ١٧٦].
(4) سورة البقرة [الآية: ٢٢٢].
(5) القواعد الفقهية للندوي، ص ١٦٤.
(6) السابق، ص ١٦٣.
(7) السابق، ص ١٤٤.
(8) الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١٩٢.
(9) الأشباه والنظائر، ص ٢٨٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد تأثر كثير من الدعاة والعلماء بما تأثر به الإمام السيوطي في دعوته بسور السؤال كابن رجب الحنبلي في قواعده، وابن نجيم في نظائره وغيرهما من العلماء والعلماء بالذكر والنقل والتقعيد للقواعد الفقهية المبدوءة بالاستفهام أو صيغها.

ما يستفيده المدعوون من هذا العرض:

١ . الأسئلة الموجهة من المسلمين الأوائل للنبي ﷺ وذلك لأنهم يؤمنون حقا بالله تعالى وبرسوله ﷺ وبالقرآن الكريم أنه المنزل على رسول الله ﷺ من الله عز وجل فلم يكن لديهم أدنى شك أن كل ما يوحيه الحق تعالى لرسول محمد ﷺ هو خير وأفضل لهم فكانت تعرض لهم أمور وتحدث لهم أحداث لا يعرفون كيف التصرف فيها وتجد عليهم في حياتهم مشكلات لم يستطيعوا الخروج منها إلا بسؤال المعصوم ﷺ فيعملون بموجبه ويسيرون على هديه وعلى منهج دينهم الجديد الإسلام[١]. لذا على المدعوين أن يقصدوا قبلة العلم فيما أشكل عليهم من أمور دينهم أو ما استحدث لهم وجد عليهم من مشكلات، قال . تعالى .:﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[٢]، وقال ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء"[٣].

٢ . تحسين القصد في السؤال، فالأصل في الأغراض التي وجهت من أجلها الأسئلة إلى النبي ﷺ الاستعلام والاسترشاد والتعليم والتعلم، وتطبيق أحكام الإسلام والسير على منهجه الصحيح الذي رسمه الحق لهم فكانوا يريدون العلم بدينهم والعمل به.

٣ . على المدعوين أن ينأوا بأنفسهم عن التشبه بالمخالفين [اليهود . النصارى] وغيرهم الذين كان القصد من وراء سؤالهم التعجيز . التشهير . التشكيك . الاختبار.

وعلى المدعوين أن يلتزموا بالقواعد العامة التي وصفها الإسلام في هذا الصدد ليسيروا على ضوئها وهي[٤]:

١ . النهي عن البحث فيما لا يقع من الحوادث حتى يقع، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ

---

١) الأسئلة والأجوبة في القرآن الكريم، ص ١١.
٢) سورة النحل [الآية: ٤٣]
٣) البخاري مع الفتح، ٢١٧/١ باب الإنصات للعلماء من مقدمة الكتاب.
٤) فقه السنة ١١/١ و١٢، ط الفتح الإعلامي العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [1]، وفي الحديث أن

نهى عن الأغلوطات، وهي المسائل التي لم تقع[2].

٢. تجنب كثرة السؤال وعُضل المسائل: "إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال

إضاعة المال"[3]

٣. البعد عن الاختلاف، والتفرق في الدين، قال الله تعالى: { قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [4].

٤. ردّ المسائل المتنازع فيها إلى الكتاب والسنة، عملا بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴿٥٩﴾ ﴾ [5].

على ضوء هذه القواعد سار الصحابة ومن بعدهم القرون المشهود لهم بالخير، ولم يقع بينهم اختلاف وتجسدت فيهم هذه الأخلاق التي حببت أن تتجسد في المدعوين عند سماعهم للداعي وهي:

ثانيا: من أخلاق المدعوين عند سماعهم للداعي[6]:

١- الإنصات التام وحسن السماع ٠
٢- ترك التنازع وعدم مقاطعة المتحدث حتى يفرغ ٠
٣- مراجعة الداعى فيما أشكل عليه حتى يتبين له ٠
٤- مذاكرة ما تم طرحه ٠
٥- السؤال بقصد العلم والعمل ٠
٦- ترك التنطع وعدم السؤال عن المتشابه ٠
٧- ترك السؤال عما سكت عنه الشارع ٠
٨- اغتنام خلوة الداعى ومراعاة وقت سؤاله ٠
٩- مراعاة أحوال الداعي وعدم الإلحاح عليه بالسؤال ٠

---

[1] سورة المائدة [الآية: ١٠١]
[2] سنن أبي داود، كتاب العلم، باب التقي في الفتيا حديث رقم ٣٦٥٦، ٦٥/٤٠. الأغلوات/ شدة المسئل وصحابها، فقه السنة ١١/١.
[3] البخاري ومسلم.
[4] سورة آل عمران [الآية: ١٠٣].
[5] سورة النساء [الآية: ٥٩].
[6] أصح الكلام في سيرة خير الأنام، السيرة النبوية، د/ علي محمد الصلابي، ص ٦٥٠، ٦٦٢، ط التوفيقية، التوفيقية، القاهرة، بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني: أثر تطبيق الداعية لقاعدة الضرورات في المدعوين

من المعلوم أن الناس يختلفون في مشاربهم ومآربهم كما يختلفون في بيئاتهم وعقائدهم، وعلى الداعية أن يتخذ الوسائل النافعة التي ترغبهم فيما يدعوهم إليه، ويسلك الطرق المؤدية إلى هدايتهم وجذبهم إلى الحق ليتمكن في النهاية من الوصول إلى غايته المأمولة [1].

مصطلح المدعو:

المدعو: اسم مفعول من دعاة يدعوه، فهو مدعو .

أما معناه الاصطلاحي: فهو من توجّه إليه الدعوة " ويمكن أن يعرف أيضا: " الإنسان " مطلقا، قريبا كان أو بعيدا، مسلما أو غير مسلم، ذكرا أو أنثى ... إلى غير ذلك من أوصاف[2].

ويدل لهذا قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [3].

وقوله: { قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [4].

وما أكثر النداءات القرآنية التي تبدأ بقوله تعالى: " يأيها الناس " !

وعندما يتشبع المدعوين بعلم القواعد الفقهية وما تحويه من أحكام وأوامر ونواهي، وخطط ونظم وطرق من جهة، ولتعلقها بجانب العباد الذين تختلف أحوالهم وأوضاعهم زمانا ومكانا، يستطيع مواجهة متطلبات الحياة المتجددة، وما دامت المسائل الفقهية غير قطعية فهي قابلة لحكم الشرع للتجديد والتغيير – وهذا التغيير الذي يطرأ على الأحكام الفقهية – التي هي محل اجتهاد شئ طبيعي يتمشى مع روح تعاليم الإسلام التي تتسم باليسر ورفع الحرج [5].

والناظر في التخفيفات الواردة في الشرع يرى أن قاعدة (الضرورات) تكمن في النوع الثاني[6]. وهو المشروع لما يجد من الأعذار والعوارض وهو المسمى بالرخص التي تعتبر دليل عيان يشهد بأن شرعنا الحنيف دين اليسر والسهولة وشاهد عدل على سماحته وتجاوبه مع الفطر المستقيمة وحساسته المرهفة لأحوال أهله ومسارعته

---

[1] دراسات في الدعوة الإسلامية د / عبد الكريم سيد عبد الرؤوف ص ٣٥ ط وزارة الأوقاف – مصر .

[2] المدخل إلى علم الدعوة دراسة منهجية شاملة لمحمد أبو الفتح البيانوني ص ٤١ – ٤٢ ط مؤسسة الرسالة – بيروت .

[3] سورة سبأ (الآية: ٢٨) .

[4] سورة الأعراف (الآية: ١٥٨) .

[5] دليل الإمام في تجديد الخطاب الديني ص ٦٣ .

[6] النوع الأول شرع من أمثلة التيسير وهو عموم التكاليف الشرعية في الأحوال العادية. القواعد الفقهية وما تفرع عنها للسدلان ص٢١٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في تقديم ما تزول به مشقتهم وعناؤهم، وأن هذه الرخص تعد قاعدة عامة من قواعد الدين الكبرى، وتوجد في جوانب التشريع كله من عقائد وعبادات ومعاملات وأحوال شخصية وقضاء وعقوبات وغير ذلك[1].

وانطلاقات من هذا فإن قاعدة الضرورات بمثابة نبراس يستضاء به عند النوازل والوقائع، وتعالج كثيرا من المسائل والقضايا على أساسها.

وقاعدة (الضرورات) والتي تمثل في القواعد الآتية:

١. قاعدة الضرورات تبيح المحصورات [2].

٢. قاعدة ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها[3].

٣. قاعدة ما جاز لعذر بطل بزواله [4].

٤. قاعدة الحاجة تنزل منزل الضرورة عامة كانت أو خاصة [5]

٥. قاعدة الاضطرار لا يبطل حق الغير[6].

معدة القواعد متفرعة ومتخرجة على القاعدة الكلية (المشقة تجلب التيسير)[7].

وساكتفي في هذا الفصل بقاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) لعدة أمور منها:

أولا: أن بقية قواعد (الضرورات) السابقة هي في قوة التقيد لقاعدة (الضرورات تبيح المحظورات).

ثانيا: كون هذه القواعد قريبة في المعنى من قاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) بل هن مكملات لها وملحقات بها[8].

وهذه القاعدة مفرعة على قاعدتي " لا ضرر ولا ضرار " و " المشقة تجلب التيسير " لكن إدراجها تحت قاعدة " المشقة تجلب التيسير " أوفق، لأنها أكثر لصوقا بها إذ أن كلا من " المشقة " و " الضرورة " يطلق على ما يطلق عليه الآخر وكلاهما لون من ألوان الحرج والعسر المستدعى للتخفيف والتيسير على المكلف ، قال العز بن عبد السلام – رحمه الله –: " الضرورات مناسبة لإباحة المحظورات

---

[1] الموافقات للشاطبي ٢/٨٦، ٨٧ ط. المدني وصبيح، القاهرة.
[2] الأشباه والنظائر للسيوطي ص ١٤٩ .
[3] السابق ص ١٥٠ .
[4] السابق ص ١٥١ .
[5] السابق ص ١٥٤ .
[6] السابق ص ١٥٤ .
[7] السابق ص ١٥٤ .
[8] الأشباه والنظائر، للسيوطي، ١٤٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جلبا لمصلاحها كما أن الجنايات مناسبة لايجاب العقوبات درءا لمفاسدها . [1].

ولهذه القاعدة أثرها البالغ في المدعوين.

روح القاعدة وأثرها في المدعوين

تنفست هذه القاعدة بروح الإسلام روح المساواة، روح العدالة، فهو يعامل الجميع معاملة واحدة، وينظر إلى الجميع نظرة واحدة، ويعطي كل ذي حق حقه . الدين الإسلامي دين تسامح، دين سهولة ويسر لا تعصب ولا تعقيد فيه، دين بساطة وسهولة لهذا الروح الذي نراه في الدين الإسلامي، لذلك نرى أن الدين الإسلامي قد انتشر بمبادئه في أفريقية وأوروبا وآسيا، انتشر بمبادئه لا بقوة السيف، انتشر بمبادئه السامية وآرائه الحديثة التي تتفق مع العقل والمنطق، وكل زمان ومكان وتتفق مع الحضارة والمدنية، انتشر بمبادئه التي تلائم الطباع والنفوس، وتتفق مع الإنسان .

١- واقعية قاعدة (الضرورات) للأخلاق الإسلامية:

جاء الإسلام بأخلاق واقعية، راعت الطاقة المتوسطة المقدورة لجماهير الناس فاعترفت بالضعف البشري، وبالدوافع البشرية، وبالحاجات البشرية المادية والنفسية .

ومن واقعية (الضرورات) لحال المدعوين في الأخلاق الإسلامية تجويز ما جاء في الإنجيل من قول المسيح: " أحبوا أعداءكم .. باركوا لاعنيكم .. من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر .. ومن سرق قميصك فأعطه إزارك " [2].

فقد يجوز هذا في مرحلة محدودة، ولعلاج ظرف خاص، ولكنه لا يصلح توجيها عاما خالدا، لكل الناس، في كل عصر، وفي كل بيئة، وفي كل حال، فإن مطالبة الإنسان العادي بمحبة عدوه ومباركة لاعنه، قد يكون شيئا فوق ما يحتمله، ولهذا اكتفى الإسلام بمطالبته بالعدل مع عدوه: { قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴿٨﴾ ﴾ [3].

كما أن إدارة الخد الأيسر لمن ضرب الخد الأيمن، أمر يشق على النفوس، بل يتعذر على كثيرمن الناس أن يفعلوه، وربما جرأ الفجرة الأشرار على الصالحين الأخيار . وقد يتعين في بعض الأحوال، ومع بعض الناس، أن يعاقبوا بمثل ما اعتدوا، ولا يعفى عنهم فيتحججوا ويزدادوا بغيا وطغيانا[4].

٢- واقعية قاعدة (الضرورات) للتربية الإسلامية:

---

[1] قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٢/٧ .
[2] إنجيل متى،إصحاح ٥، العد ٤٣: ٤٨، الإصدار التاسع، ط بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣.
[3] سورة المائدة: (الآية: ٨).
[4] الخصائص العامة للإسلام من ١٥٣،١٥٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتربية الإسلامية كذلك تربية واقعية تتعامل مع الإنسان كما هو: لحما ودما، وفكرا وشعورا، وانفعالا ونزوعا، وروحا وتحليقا.

ومن واقعية قاعدة (الضرورات) للمدعوين أمر الأباء والمربين بأخذ الحزم والشدة مع الأبناء إذا قاربوا سن المراهقة، وذلك أن أتموا العاشرة، وفي هذا يقول - ﷺ - "مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر"[1].

والضرب هنا ليس مقصودا لذاته، وإنما المراد به إشعار الولد بأهمية ما يؤمر به، وحتمية الأب في أمره به، وحرصا على تنفيذ الأمر وعدم التهاون فيه، فإن بعض الآباء يأمر الطفل من طرف لسانه، بحيث لا يشعر الطفل منه أنه حريص على الامتثال، فلهذا جاء الأمر بالضرب للإشعار بأن الأمر جد لا هزل، وفعل لا قول.

والضرب المطلوب: أن يؤلم ويوجع، ولكنه لا يشوه ولا يجرح، ولا يؤذي أيذاء شديدا. والإسلام يقرر هذا للضرورة أو للحاجة [2].

الفصل الثالث:

أثر تطبيق الداعية لقواعد درء المفاسد وجلب المصالح في المدعوين

المقصد العام من التشريع هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان. ويشمل صلاحه صلاح عقله وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه. قال تعالى . حكاية عن رسوله شعيب ونويها بها: { قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [3] فعلمنا أن الله أمرلا ذلك الرسول بإرادة الإصلاح بمنتهى الاستطاعة، وقال حكاية عن شريعة شعيب لأهل مدين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ﴿٨٥﴾ ﴾ [4]، وقال حكاية عن رسوله ثمود قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [5]، وقال مخاطبا هذه الأمة { قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴿٥٦﴾ ﴾ [6].

---

[1] المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كتاب الصلاة، باب مواقيت الصلاة،، حديث رقم (٧٠٨)، ٣١١/١، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

[2] الخصائص العامة للإسلام ص ١٥٦ .

[3] سورة هود (الآية: ٨٨).

[4] سورة الأعراف (الآية: ٨٥).

[5] سورة الأعراف (الآية: ٧٤).

[6] سورة الأعراف (الآية: ٥٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهذه أدلة صريحة كلية دلت على أن مقصد الشريعة الإصلاح وإزالة الفساد، وذلك في تصاريف أعمال الناس.

وليس المراد من الإصلاح مجرد العقيدة وصلاح العمل كما قد يتوهم، بل المراد صلاح أحوال الناس وشئونهم في الحياة الاجتماعية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ ﴾ (١)، فالفساد المحذر منه هنالك هو إفساد موجودات هذا العالم وأن الذي أوجد هذا العالم وأوجد فيه قانون بقائه لا يُظنُّ فعلُه ذلك عبثا، وهو يقول: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾ (٢). ولولا إرادة انتظامه لما شرع الشرائع الجزئية الرادعة للناس عن الإفساد، فقد شرع القصاص على إتلاف الأرواح وعلى قطع الأطراف، وشرع غرم قيمة المتلفات، والعقوبة على الذين يحرقون القرى ويُفرقون السلع، ولما أباح تناول الطيبات والزينة، وأقامت الشريعة لإصلاح معاملة الناس بعضهم مع بعض نظام الحق وهو لدفع الفساد قطعًا كما صرح به قوله قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ (٣)، فجعل الحق ممانعا للفساد.

ومن عموم هذه الأدلة ونحوها حصل لنا اليقين بأن الشريعة متطلبة لجلب المصالح ودرء المفاسد، واعتبرنا هذه قاعدة كلية في الشريعة. وعليه فقد انتظم لنا الآن أن المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح ودرء المفاسد. فالشريعة تسعى إلى تحقيق المقاصد في عموم طبقات الأمة بدون حرج ولا مشقة فتجمع بين مناحي مقاصدها في التكاليف والقوانين مهما تيسر الجمع، فهي تترقى بالأمة من الأدنى إلى الأعلى بمقدار ما تسمح به الأحوال وتيسر حصولها، وإلا فهي تتنازل من الأصعب الذي يليه مما فيه تعليق الأهم من المقاصد.

الداعية والترجيح بين المفاسد والمصالح في المدعوين

إن ما يحتاج إليه الداعية في دعوته إلى الله كيفية الترجيح بين المصالح والمفاسد، وتقديم بعضها على بعض، من أجل أن يتوصل الداعية إلى مقاصد الحكم الشرعي.

---

١) سورة البقرة (الآية: ٢٠٥).
٢) سورة المؤمنون (الآية: ١١٥).
٣) سورة المؤمنون (الآية ٧١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن هذا المنطلق فإن الداعية يحتاج إلى معرفة الترجيح والموازنة بين المصالح والمفاسد في دعته إلى الله عز وجل كما أنه توجد مستجدات في الواقع يحتاج فيها الداعية إلى أن يرجح بينها وبين أمور أخرى، فالداعية لا بد أن يكون بصيرا بفقه المصالح والمفاسد حتى لا يكون حائرا في مجريات الأحداث المتعاقبة من حوله من أجل تحديد خطاب ديني [دعوي . فكري] للمدعوين وعرض الداعية للمدعوين كيفية ترتيب الأولويات في الدعوة إلى الله التي لا تتم إلا بمعرفة الأولى فالأولى، ومعرفة المصالح والمفاسد، وترتيب الأولويات في درء المفاسد وجلب المصالح[1].

قاعدة: [لا ضرر ولا ضرار][2] وما تفرع عنها [درء المفاسد أولى من جلب المصالح][3]، وقاعدة [الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف][4]، وقاعدة [يختار أهون الشرين وأخف الضررين][5]،وأثرها في مخاطبة المدعوين. إن هذه القواعد لها الأثر البالغ في الدعوة إلى الله تعالى في المدعوين، إذ إنها تخاطب المدعوين على قدر عقولهم فهي تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، وتظهر في معرفة المناسب من الدعوة لكل فئة من الناس. والداعية الحكيم لا يقول كل ما يعرف لكل من يعرف. ويتعامل مع القول حسب مقدرتها لا حسب مقدرته، ولا يحملها فوق طاقتها.

وقد فهم ابن عباس . رضي الله عنهما . قول الله تعالى:{ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [6]، فقال: (كونوا علماء فقهاء)، وقال البخاري: "ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره"[7].

والبدء بصغار العلم مرجعه مراعاة العقول حتى لا تنفر من الدعوة، قال ابن حجر: "والمراد بصغار العلم بأوضح من مسائله، وكباره ها دق منها"[8]. ويشهد لهذا الأصل [المصالح والمفاسد] من أصول الدعوة كثير من النصوص نذكر منها:

١ . قاعدة [درء المفاسد أولى من جلب المصالح] [9]، وقاعدة [الضرر الأشد يزال يزال بالضرر الأخف] [10].

---

(1) عبد القادر حسن من مقدمة فقه الأولويات للداعية، ص ٨، بتصرف يسير.
(2) الأشباه والنظائر، للسيوطي، ص١٤٨.
(3) السابق، ص ١٥٤.
(4) السابق نفس الموضع.
(5) السابق، نفس الموضع.
(6) سورة آل عمران [الآية:٧٩].
(7) البخاري مع الفتح، ١٦٠/١.
(8) البخاري مع الفتح، ١٦٢/١.
(9) الأشباه والنظائر للسيوطي، ص١٥٤.
(10) السابق، نفس الموضع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ساق البخاري حديثا ترجم له بقوله: "باب من ترك بعض الاختيار مخافة بعصر مهم بعض الناس عنه فيقع في أشد منه، ثم أخرج من طريقه إلى (الأسود) قال: قال لي (ابن الزبير): "كانت عائشة تُسِر إليك كثيرا، فما حدثتك في الكعبة؟ قلت: قال لي: قال النبي ﷺ: "يا عائشة، لولا قومك حديثوا عهدهم . قال ابن الزبير: بكفر لنقضت الكعبة فجلت لها بابين باب يدخل الناس وباب يخرجون"[1].

قال ابن حجر . رحمه الله .: "ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة"[2]. فعلى الداعية من خلال هذا الإنموذج أن يقف عند دعوته للمدعوين إلى إعمال قواعد الترجيح بين المصالح والمفاسد، فالعبرة فيها للغالب دون النظر إلى المغلوب: فالمصلحة إذا كانت هي الغالبة عند مناظرتها مع المفسدة في حكم الاعتبار فهي المقصودة شرعا، ولتحصيلها في دفع الطلب على العباد، وكذلك المفسدة إذا كانت هي الغالبة بالنظر إل المصلحة في حكم الاعتبار فنفعها المقصودة شرعا[3].

٢ . الموازنة بين المصالح والمفاسد أو المميزات، إذا تصادمت وتعارضت بعضها ببعض، ومن القواعد الفقهية في ذلك: قاعدة [الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف]. وقاعدة [إذا تعارضت مفسدتان روعي أخفهما ضررا بارتكاب أخفهما]، وقاعدة [يختار أهون الشرين أو أخف الضررين].

إن المتأمل لقصة يوسف عليه السلام في القرآن يرى أنها ق حملت معاني كثيرة تدل على فقه المصا والمفاسد، حيث فاضل بين أن يسجن أو يقع في الفاحشة، فاختار أن سجن ولا يقع في الفاحشة، وهذا تعبير القرآن عن فقه يوسف في المصالح والمفاسد إذ قال تعالى: {قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [4].

فيوسف خاف من الله ولم يخف من أذى الخلق، بل آثر الحبس والأذى في طاعة الله على المتعة والشهوة في معصية الله، فلو وافق امرأة العزيز لنال المال والمتعة والرئاسة[5].

---

[1] السابق، نفس الموضع.
[2] البخاري مع الفتح، ١٦٢/١.
[3] منقول عنا لشيخ عبد الله بن بيه [الشريعة مبنية على مصالح العباد] الجاحته [الإسلامية بالمدينة المنورة المنورة.
http://www.isegs.com/forun/archive/index.php/t.629. htm
[4] سورة يوسف [الآية: ٣٣].
[5] التفسير الكبير لابن تيمية، ٧٤/٥، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فليس العاقل من يدرك المصلحة من المفسدة، ولكن العاقل من توصل إلى خيرين وشر الشرين من خلال هذه النماذج يستطيع الداعية تصحيح فكر المدعوين وثقافتهم: فبين كل فترة وأخرى يطرأ على المسلمين من أفكار جديدة وثقافات حديثة، كثير منها ما يكون مخالفا للدين والتقاليد والعادات والأخلاق، وحينئذ يكون الداعية بدوره ليبين لهم الأصح والأفضل والأصلح، ويبين لهم الفاسد والأفسد.

٣ . الموازنة بين المصالح بعضها وبعض، من حيث حجمها وسعتها، ومن حيث عمقها وتأثيرها، ومن حيث بقائها ودرافا، ومن حيث تيقنها أو توهمها، وأيهما ينبغي أن يقدم.

فعلى الداعية على ضوء ما سبق أن يسير بسير الضعفاء من المدعوين إن سار معهم، ويسير بسير الأقوياء من المدعوين إن سار معهم، وينزل منزلة الضعفاء إن خاطبهم، ويتكلم بلغة قوية معتدلة إن خاطب ذوي الهيبة والهيئة والمنصب والجاه يريح المدعوين إذا تعبوا وينشطهم إذا تثبطوا بين فعل العبادة وتركها إذا كان في الأمر خيار حتى يقبل العابد على العبادة راغبا وينصرف عنه المنصرف آملا في الرجوع إليها إذا نشطت همته وفرغ من مشغلته، فالمدعوون في دعوة الإسلام في حرية مطلقة للعمل غير متحللة من الفرائض والتزام العقائد، كل يعمل حسب طاقته وعلى قدر استعداده والاعتدال في التفكير والموازنة بين العمل والراحة والبذل والأخذ، فعلى الدعاة أن يدركوا هذا المعنى الذي رسخه القرآن وبينه نبي الإسلام، وجاءت به القواعد الفقهية عملا وتقريرا فليست دعوة الإسلام إرهاقا للعقول والمفاهيم ولا إثقال على النفوس بالمشاعر والخواطر المثالية التي تصادم طبيعة النفس وميولها، بل هي تقويم للعقل بالإبقاء على جلب المصالح ودرء المفاسد والمتمثل هنا في الأمر بما هو أولى بالإيقاع والنهي عما هو أحرى بالاجتناب، فما أحوج الدعاة مع المدعوين إلى تفعيل أسلوب النهي عن الأثقل قبل الأخف ويمثل هذا الأسلوب يؤلف الداعية بين الإسلام وقلوب المدعوين ويهدهم إلى صراط الله المستقيم[1].

[1] الدعوة إلى الله تعالى على ضوء القرآن والسنة، ص ١٤٠ بتصرف يسير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع: أثر تطبيق الداعية للقواعد الفقهية في التوصل لأحكام الوسائل الدعوية

فكل دعوة في العصر الحديث تعتمد على عدة مناهج ووسائل لتحقيق غرض تهدف إليه. والعصر الحديث مشحون بكثير من الطرق والوسائل التي تخدم الدعوات. والدعوة اليقظة والدعاة الموفقون هم الذين يستطيعون استخدام وسائل العصر الحديث لخدمة أهداف دعوتهم.

لذا كان الباب مفتوحا أمام الداعية لينهل من القواعد الفقهية في هذا المطلب خطوط الفكر الفقهي في معالجة القضايا والنوازل وكأنه على ذروة عالية عاصمة مسالكه ومركزها الرئيس، وهو مقاصد التشريعية وخصوصها الأساسية.

ويتضح ذلك من خلال مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الوسيلة.

المبحث الثاني: المنظور الإسلامي لوسائل الاتصال الدعوية ومستجداتها (تعدد الوسائل الدعوية وحكم مشروعيتها).

المبحث الأول: مفهوم الوسيلة

الوسيلة في اللغة:

"يقال: وسل إليه وسلة ووسائل، وأنا متوسل إليه بكذا، وواسل ووسلت إليه، وتوسلت إلى الله بالعمل الصالح أي تقربت إليه"[1].

"والوسيلة الواسلة، والوصلة والقربي، ودرجة النبي في الجنة، والجمع وسائل"[2].

"ويقال: توسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل، وتوسل إليه بكذا: تعرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه .. والوسيلة الوصلة والقربى وجمعها الوسائل، قال . تعالى :. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [3].

وعلى هذا فالوسيلة في اللغة تعني ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به.

---

[1]) أساس البلاغة، محمود بن عمرو الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، ص ٦٧٥، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، تحقيق محمد باسل عيون السود. لسان العرب، ٧٢٤/١١، ط دار صادر الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

[2]) المعجم الوجيز، ص ٦٦٩.

[3]) سورة الإسراء (الآية: ٥٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢. **مفهوم الوسيلة في الاصطلاح:**

"هي الطريقة التي يتم بها إيصال الدعوة إلى المدعو بعد تحديد الأسلوب المناسب لحاله، والمنهج الملائم لدعوته"[١].

٣. **مفهوم الوسيلة حديثا:** لا يختلف المفهوم الحديث للوسيلة عنه في المفهوم القديم. فقد عرفت قديما بأنها القناة أي قناة الاتصال، وهي التي تنقل خلالها رسالة من مصدر إلى مستقبل، وتضم هذه الرسالة عادة فئتين:

أ. الاتصال الجماهيري.

ب. الاتصال المباشر.

وعناصر الاتصال ستة: المصدر . الرسالة . الوسيلة الإعلامية . المستقبل . التأثيرات . ردود الفعل. ولا تختلف عملية الاتصال بالنسبة للاتصال المباشر بين الأفراد عنها بالنسبة للاتصال الجماهيري، وأيضا فيما يتعلق بسيكولوجية (التغيرات النفسية) الاتصال، فيه واحدة في كليهما[٢]. وجيب أني علم الدعاة أن منهج الدعوة والأسلوب والوسيلة ليس للتطبيق مرة واحدة فقط، وإنما يمكن يوضع منهج دعوة طويل المدى، وله خطوات عديدة تستغرق وقتا طويلا في تطبيقها. وتستخدم أساليب عديدة لعرضها حسب حالات المدعو كما تتنوع الوسيلة حسب تجدد ظروف الدعوة وتطور حالات المدعوين.

فنجاح الدعوة متوقف في حياة الناس على كمال المناهج، وصحة الأساليب، وقوة الوسائل[٣].

المبحث الثاني: المنظور الإسلامي لوسائل الاتصال الدعوية ومستجداتها (تعدد الوسائل الدعوية وحكم مشروعتها)

لكل عصر من العصور أساليب تناسبه، ووسائل تليق به في الترغيب في فضائل والتنفير من رذال، ولكل عصر أيضا مجموعة من أدوات الترغيب وأساليب الترهيب ما يناسبه ويؤثر على السامعين وينبهم إليه، وإلى ما يضربهم فينصرفون عنه ويبغضونه.

---

[١] مناهج الدعوة، د/ جلال بشارة، ص ٥٦، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، أصول الدعوة عبد الكريم زيدان، ص ٤٥٢-٤٦١، ط مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

[٢] وسائل الإعلام والتنمية الاجتماعية، د/ شاهنياز طلعت ص ١٩ وما بعدها ط مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

[٣] مناهج الدعوة الإسلامية وأساليبها ووسائلها، د/ ماجد عبد اللام إبراهيم، ص ١٧٦، ط مكتبة الجامعة الأزهرية، أسيوط الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والدعوة إلى الله . تعالى . بما تشتمل عليه من عقيدة تؤمن بوحدانية الله . تعالى . وما تزخر به من مبادئ سامية في المعاملات على اختلاف ألوانها من بيع وإجارة ورهن، وغيرها من حدود وكفارات وأيمان، هذه الدعوة إلى الله تختلف أساليبها في عصرنا عنها في عصور سابقة، لأن النظرة إلى الحياة قد اختلفت، وجدت أمور لم تكن موجودة، ورأينا مخترعات وصناعات لم يرها آباؤنا وسلفنا.

وبناء على هذا فإني سأتناول تعدد الوسائل الدعوية وحكم مشروعيتها على النحو الآتي:

الفرع الأول: تعدد الوسائل الدعوية الحديثة.

الفرع الثاني: ضوابط مشروعية الوسائل الدعوية.

الفرع الأول: تعدد الوسائل الدعوية الحديثة

إن الاتصال الدعوي ليس معناه العودة إلى الوراء، لاستخدام الاتصال الشفوي، أو الوقوف عند حد الخطبة والدرس الديني، بل يجب أن يستخدم الإسلام الإسلامي جميع وسائل الاتصال ووسائل الإسلام الحديثة، مع ما يلزمها من أساليب إعلامية متطورة النشر الإسلام الإسلامي القائم على المحتوى المليء بالمنهج الإسلامي، والمستعمل للأسلوب الفني الإعلامي[1].

وباستقراء القواعد الفقهية في هذا المطلب تبين منها ما يلي:

القاعدة الأولى: الحاجة تنزل منزل الضرورة عامة كانت أو خاصة[2].

فهذه القاعدة توضح أن وسائل الاتصال الدعوية الحديثة حاجة عامة تنزل منزل الضرورة للأمة الإسلامية؛ لأن الاحتياج شاملا لجميع الأمة: بمعنى أن الناس جميعا يحتاجون إليها فيما يمس مصالحهم العامة من زراعة وصناعة وتجارة، وسياسة عادلة وحكم صالح، وبيان حكم الشريعة الإسلامية في هذه المصالح والقضايا المعاصرة ومستجداتها[3].

القاعدة الثانية: كل شيء تعومل اصطناعه يصح فيه الامتناع على الإطلاق[4].

القاعدة الثالثة: كل ما لا يتوصل إلى المطلوب إلا به فهو مطلوب[5].

---

[1]) الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، د/ عبد الوهاب كحيل، ص ٤٠، ط عالم الكتب، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

[2]) سبق بيانه ص ٣٥٠.

[3]) القواعد الفقهية الكبرى للسدلان ص ٢٨٧، ٢٨٨ بتصرف يسير.

[4]) مجلة الأحكام العدلية المادة ٣٨٩.

[5]) القواعد الفقهية للندوي، ص ٦٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهذه القواعد توضح أن وسائل الاتصال الدعوية الحديثة (الإعلام الإسلامي) ضرورة ماسة للمسلمين ليس فقط من أجل عملية البناء الاجتماعي والتنمية الوطنية بل أيضا لأمر الدعوة الإسلامية[1].

يجب إذن أن يستخدم رجال الإعلام الإسلامي كل وسائل الاتصال الحديثة والمتطورة، بل يجب أن يسايروا أحدث مخترعات العصر من وسائل مسموعة ومرئية ومطبوعة، وأن يدركوا أن لكل مادة في المنهج الإسلامي وسيلة إعلامية تناسبها، ولها في إعلامي يناسبها، وأن يقوموا بعملية تبسيط المحتويات والمناهج الإسلامية، واختيار الأسلوب المناسبة أيضا. فكل جمهور له نوع من المعلومات تفيده، وكل وسيلة لها جمهور، فجمهور الأميين يناسبهم الراديو (المسموع والمرئي)، وجمهور القراء تناسبهم المقروء إضافة إلى ما سبق، وكل طائفة لها وسيلة مناسبة لها، كما أن لكل وقت وسيلة مناسبة. فصدور الوسيلة المقروءة في وقت غير مناسب يؤدي إلى عدم توزيعها (كالصحف) على سبيل المثال، والإذاعة في منتصف الليل فقط لن تجد كل المستمعين، والإرسال التلفزيوني في غير مناسب في أوقات الانشغال بالعمل[2].

ولكل وسيلة من وسائل الاتصال استعداد وحدود وطاقة وإمكانيات فهناك كما يقول مارشال ماك لوهان "وسائل حارة كالسينما والفضائيات والراديو"، وهناك وسائل باردة "كالتليفون"، والوسائل الحارة هي التي تمد حاسة واحدة وتعطيها وتوجيه عالية، إذ تحمل إليها كبيرة من المعطيات، فلا تترك الكثير للمستقبل كي يكمله أو يملأ فراغه. أما الوسائل الباردة فذات وضوحية منخفضة. فالتليفون مثلا لا تتلقى الأذن من خلاله إلا مجموعة ضئيلة جدا من المعلومات ومن ثم يقتضي من المستمع قدرا عاليا من المشاركة والإكمال[3].

وهكذا يتضح أن الاتصال عنصر لازم للحياة الاجتماعية وتتعدد أشكال الاتصال، فتشمل عدة أساليب سأقتصر في تناولها على الدعوة في الإعلام الإسلامي، وأتناول من هذه الوسائل ثلاثة فقط هي:

١. الإعلام.

٢. الدعاية.

٣. العلاقات العامة.

---

[1] الإعلام موقف لمحمود محمد نصر، ص ٦٤، ٦٥، ط الكتاب العربي السعودي، الطبعة الأولى.

[2] الأسس العلمية والتطبيقية، ص ٤٢، ٤٣ بتصرف يسير.

[3] كيف نفهم وسائل الاتصال لمارشال ماك لوهان، ص ٣٣، ط دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة ١٩٧٥م، ترجمة خليل حمايات وآخرين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منزلة هذه الوسائل من القواعد الفقهية:

تدخل هذه الوسائل الثلاثة (الدعاية . الإعلام . العلاقات العامة) وغيرها صمن قاعدة العرف (العادة محكمة) [1]، وهو ما تعارف عليه الناس واعتادوه وأصبح دفاعهم وتنطبق عليه إحدى صور العرف الثلاث وهي: أن لا يكون حكما شرعيا ولا مناط لحكم شرعي.

مثال هذه الصورة هي الأعراف: فتنطبق على كل ما يعتاده الناس من العادات والتقاليد في مظاهر حياتهم المختلفة، مما لم يصبح حكما شرعيا ولا تأسس عليه حكم شرعي، فللناس أن يمارسوا عاداتهم وتقاليدهم، ما دامت لا تعارض أمر من أمور الشريعة الثابتة ولهم أن يطوروا عادتهم وتقاليدهم هذه حسبما يرونه من مقتضيات الزمن.

الفرع الثاني: ضوابط مشروعية الوسائل الدعوية

لما كانت الدعوة الإسلامية دعوة إلى الله، وعملا أساسيا من أعمال رسول الله ﷺ وأتباعه، كان لا بد من أن تكون منطلقة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ منضبطة بأحكام الإعلام في مناهجها وأساليبها ووسائلها. فإن الإسلام لا يعرف فصلا في الحكم بين المناهج والأساليب والوسائل، ولا يقر بأن الغاية تبرر الوسيلة . كما هو الحال في المبادئ البشرية، بل إن للوسائل حكم الغايات، وللأساليب حكم المناهج.

وإن أي تجاهل لحكم الشريعة في جانب المناهج أو الأساليب والوسائل يعد انحرافًا للدعوة عن مسارها وخروجا بها عن مصادرها. ونظر الغموض هذا الجانب في حياة بعض الدعاة، وظن بعضهم استثناء الوسائل من هذه الأحكام، وتصرفهم فيها دون قيود من جهة، ونظرًا لاعتقاد آخرين بتوفيقية أحكام الوسائل وإعطائها أحكام المبادئ الدعوية، وأسسها التي لا دخل للاجتهاد فيه من جهة أخرى[2]... كان هذا المطلب وهو أثر القواعد الفقهية على الداعية في وسائل الاتصال الحديثة دفعًا لهذا الغموض، وتجنبا لذلك الإفراط والتفريط.

وعلى ضوء القواعد الفقهية الآتية:

القاعدة الأولى: الأصل في الأشياء والأعيان الإباحة إلا إن دل للحظر دليل يعمل به[3].

القاعدة الثانية: يغتفر في الوسائل لا يغتفر في المقاصد[1].

---

[1] الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١٨. المدخل الفقهي العام للزرقا، ٨٦٤/٢.
[2] مناهج الدعوة الإسلامية وأساليبها ووسائلها، ص ١٨١.
[3] الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١١١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القاعدة الثالثة: يغتفر في البقاء ما لا يغتفر في الابتداء. فهذه القاعدة تعني أن المسائل التي يغتفر فيها الدوام ما لا يغتفر في الابتداء، لأنه من الميسور أن ندفع الشيء من بداية الأمر. ولكنه قد لا يمكن رفعه بعد ما شرع فيه لصعوبة الرفع[٢].

القاعدة الرابعة: الوسائل لها حكم المقاصد[٣].

ومن خلال هذه القواعد يمكن تلخيص ضوابط مشروعية الوسائل الدعوية فيما يلي:

١. وسائل الدعوة اجتهادية لا توقيفية.

٢. الأصل في الوسائل الإباحة.

أولا وسائل الدعوة اجتهادية لا توقيفية:

عندما نظر الفقهاء إلى أمر الوسائل وعلاقتها بالمقاصد التي تُتخذ من أجل الإيصال إليها، رأوا أن هذه الوسائل إنما اتُخذت واعتبرت لتحقيق مقاصد بعينها، وأهدافا معينة، وهذا يعني أن اعتبار الوسائل متوقف على اعتبار المقاصد ومتصل بها أتم الاتصال، ولهذا توصلوا إلى القواعد الفقهية السالف ذكرها وهي قواعد معروفة لم نجد معترضا فيها من أهل الفقه والأصول كلها. تشير إلى أن الوسائل في غالبها مسكوت عنها، خاضعة إلى تقدير مداها في تحقيق مقصودها.

الفصل الخامس: دراسة تطبيقية لأثر القواعد الفقهية في الدعوة الإسلامية

وسأتناول فيها أربعة مباحث وهي:

المبحث الأول: أثر القواعد الفقهية في دعوة الإمام ابن رجب الحنبلي.

المبحث الثاني: أثر القواعد الفقهية في دعوة الإمام ابن تيمية.

المبحث الثالث: أثر القواعد الفقهية في دعوة الإمام ابن القيم.

المبحث الرابع: أثر القواعد الفقهية في دعوة الإمام الغزالي.

وسأتناول في هذا المختصر أثر القواعد الفقهية في دعوة الإمام ابن رجب الحنبلي.

أثر القواعد الفقهية في دعوة الإمام ابن رجب الحنبلي

إن من أهم الخصائص التي ميز الله عز وجل بها الإسلام خاصية السهولة واليسر (رفع الحرج)، فليس في تكاليفه مشقة ولا في أوامره عناء، فحيثما وجد الحرج جاءت الرخصة وانتفى التعب وزالت الشقة، بهذا نطقت نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة. فمن الكتاب العزيز قوله . تعالى .: { قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

---

[١] القواعد الكبرى للسدلان ص ٦٦.
[٢] القواعد الفقهية للندوي، ص ٤٣٤، ٤٣٥.
[٣] قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، ١٧٧/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وُسْعَهَآ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [1]، { قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [2].

ومن السنة المطهرة عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا". والآيات والأحاديث في هذا المعنى لا تكاد تحصى. ومن هذه النصوص ونحوها استنبط العلماء قواعد فقهية جليلة القدر عظيمة النفع منها (المشقة تجلب التيسير) [3]، وقالوا إن التكيف بما لا يطاق محال [4].

والإمام ابن رجب الحنبلي أحد هؤلاء العلماء وهو سائر على دربهم، ناهل من مشربهم، حيث يقول في الرخص ورفع الحرج: إن الله لا يكلف العباد من الأعمال ما لا طاقة لهم به، وقد أسقط عنهم كثير من الأعمال بمجرد المشقة رخصة عليهم ورحمة لهم، وأما المناهي فلم يعذر أحد بارتكابها بقوة الداعي والشهوات بل كلفهم تركها على كل حال وإنما أباح لهم أن يتناولوا من المطاعم المحرمة عند الضرورة ما تبقى معهم الحياة لا لأجل لتلذذ بالشهوة. ومن عجز عن فعل الأمور به كله وقدر على بعض فإنه يأتي بما أمكن منه وهذا مطرد [5].

ولعلي في هذا المطلب أجلى جانبا من فكره المستنير البعيد عن الشدة الملتزم للتيسير وذلك من خلال التيسير عنده في غير العبادات عامة وخاصة (التيسير والرحمة في العقوبات والزواجر).

وجه التيسير والرحمة في العقوبات والزواجر عند ابن رجب الحنبلي، وأثر قاعدة المشقة تجلب التيسير عليه بهذا الصدد

قد يبدو للناظر في الحدود والعقوبات الشرعية اشتمالها على القسوة والغلظة مما لا يتفق مع وصف هذا الدين باليسر وعدم العسر وأن نبيه ﷺ لم يرسل إلا رحمة للعالمين وعليه فإن جانب الرحمة واليسر في التشريعات الجنائية الإسلامية تظهر في ثلاث مقامات:

---

[1] سورة البقرة [الآية: ٢٨٦].
[2] سورة المائدة [الآية: ٦].
[3] الأشباه والنظائر، للسيوطي، ص١٣٧.
[4] إرشاد الفحول للشوكاني، دار الفكر، بيروت، أولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٢م تحقيق محمد سعيد البدري أبو مصعب. يقول الغزالي (أبو حامد): "والمختار عندنا استحالة تكليف ما لا يطاق" المنخول ١٢٤ ط. الفكر، دمشق، ثانية ١٤٠٠هـ تحقيق محمد حسن هيتو.
[5] جامع العلوم والحكم، ٢٠٧/١، ٢٠٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقام الأول: الرحمة بالمجتمع: إذا كانت العقوبات بكل صورها أذى لمن ينزل به فهي في آثارها رحمة بالمجتمع. وليست الرحمة في هذا المقام هي الشفة والرقة التي تبعث من النفس الإنسانية نحو المستضعفين والأطفال والأقربين، وإنما نريد الرحمة العامة بالناس أجمعين، والتي لا تفرق بين ضعيف وشريف ولا رئيس أو مرءوس، ولا جنس وجنس .. إنها الرحمة المصاحبة للعدل في قانون الإسلام، أنزلت من أجلها الشرائع السماوية. الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه الكريم: { قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [1]، فقد حصل الغاية من بعثته عليه السلام في الرحمة للعالمين، ومعلوم أنه ليس من الرحمة الرفق بالأشرار الذي يرهبون الناس، ويزرعون فيهم الخوف والهلع ويسلبونهم الأمن على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم يكيدون لهم بالغش والخديعة يسلكون كل طرق الاستغلال والابتزاز والإرهاب، إن الرفق بهؤلاء هو عين القسوة في مؤاده وإن بدا في ظاهره الرحمة، فإن في باطنه العذاب للمجتمع بأسره.

يقول عز من قائل: { قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ٢ ﴾ [2] فلا رأفة ولا رحمة مع المعتدين بل إن الآية تبين أن هذا النوع من الرأفة يتنافى مع الإيمان واليوم الآخر مع أن الله وصف المؤمنين بأنهم رحماء بينهم، فالرفق بالجاني ليس في الرحمة في شيء .. وكيف يكون إقرار الظلم والاعتداء على الآمنين وعدم إعطاء العقاب الزاجر رحمة ورأفة، فالظلم لا يكون رحمة للناس، فالرحمة الحقيقية هي التي لا تطوي في ثناياها ظلما والتسامح الحق هو الذي يكون عن قدرة وطيب نفس فلا يقيم ظلما أو يسكت عن باطل[3].

والعقوبات حينما تكون ردعا للظلم وحماية للحق والخير والفضيلة لا ينظر فيها إلى مقدار الجريمة بالنسبة للمجني عليه، وإنما ينظر إلى مقدار وآثار الجريمة في المجتمع. لذا حض الله . تعالى . المجتمع بسلاح إذا تحصن به المجتمع حلت النعمة وانتفت النقمة،وهو حصن (التقوى) من دخله أمن ونجا.

---

[1] سورة الأنبياء [الآية: ١٠٧].
[2] سورة النور [الآية: ٢].
[3] رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ضوابطه وتطبيقاته، رسالة دكتوراه، صالح بن عبد الله بن حميد، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٣٣، ١٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن هنا يأتي حديث "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحوها"[1]، وإزالة على الواقع المعاصر وإعمال قاعدة رفع الحرج عن المدعوين لتحصيل الخير وعموم النفع. يقول ابن رجب في هذا الحديث: فهذه الوصية وصية عظيمة جامعة لحقوق الله وحقوق عباده، فإن حق الله على عباده أن يتقوه حق تقاته، والتقوى وصية الله للأولين والآخرين، قال الله . تعالى .: { قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [2]، وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره تقية منه. فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبينما يخشى من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه.

ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات، وربما دخل ويدخل في التقوى فعل المندوبات وترك المكرهات. وهي أعلى درجات التقوى[3]. وبالتقوى يصان المجتمع ويرقى أدبيا ومعنويا وبه يرفع الحرج.

والناظر في هذا المقام يبدو له شدة في تشريع هذه العقوبات والزواجر التي هي في باطنها الرحمة والتخفيف واليسر والأمن والطمأنينة على الأنفس والأعراض والأموال والحياة الكريمة، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون.

المقام الثاني: الرحمة بالمتهم والجاني:

على الرغم مما قررناه من وضوح جانب الرحمة والعدل في هذه الجزاءات الشرعية، فإن هناك جانبا آخر يتمثل فيه جانب الرحمة والعفو ألا وهو درء الحد عن المتهم والستر عليه حب الاستطاعة.

ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: "ادفعوا الحدود ما وجدتم لها مدفعا"[4]. وعن عائشة . رضي الله عنها . قالت: قال رسول الله ﷺ: "ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطأ في العفو خير من أن يخطأ في العقوبة"[5]. وقد روي عن عمر بن الخطاب ﷺ قوله: "لأن أخطأ في الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها بالشبهات"[6]. وقد قال النبي ﷺ

---

[1] رواه النووي في الأربعين، ص ٧٥، حديث رقم (١٨)، وقال حديث حسن صحيح.
[2] سورة النساء [الآية: ١٣١].
[3] جامع العلوم والحكم، ١٤٤/٢، ١٤٦.
[4] سنن ابن ماجه ، كتاب الحدود، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات، ٨٥٠/٢.
[5] سنن الترمذي ، كتاب الحدود، باب ما جاء في درء الحدود، حديث رقم [١٤٥٤]، ٣٣/٤.
[6] السابق، نفس الموضع.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لماعز: "لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت"[1]، يضاف إلى ذلك ما جاء به الأمر بستر المسلم على نفسه وعلى غيره من المسلمين.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: "أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله فمن أصاب من هذه القاذورة شيئا فليتستر بستر الله فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله"[2]، وفي الحديث الآخر: "كل أمتي معافى إلا المجاهرين"[3].

فالمسلم مأمور بالستر على نفسه وإخفاء المعاصي سترها وإخفاؤها دليل على عدم الرضا بها أما إشاعتها والتبجح بذكرها أمام الرفاق والأصحاب فدليل على قسوة القلب وعدم الخوف من الله ومراقبته، ومن سبل إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، وقد قال الله تعالى: { قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴿١٩﴾ ﴾ فالسعي في نشر الجرائم وإشاعتها ولو كانت ثابتة في المنسوبة إليهم يجعل الألسنة تلوك في أسماء المتهمين والواقعين فيشتهرون بذلك أمام الناس، فتمضحل فيهم المروءة، وثم تهون الرذيلة. ومن المعروف أن الناس يمتنعون عن مطاوعة أنفسهم في ارتكاب المنهيات وتحقيق مرذول الرغبات خشية نقد الناس ولومهم، فإذا فقدوا الاعتبار في نظر الناس، ذهب حاجز حصين قد كان يحول بينهم وبين ارتكاب الفاحشة فينزلون فيها ولا يخرجون منها وقد تسد في وجوههم أبواب التوبة[4].

وفي هذا المقام لا يغيب عن الدعاة النصح والإرشاد والتوجيه بالحسنى والتيسير لا التعسير والتبشير لا التنفير عند دعوتهم للمدعوين المتهمين أو الجناة.

يقول ابن رجب الحنبلي: وقد أخبر النبي ﷺ أن الدين النصيحة، فهذا يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام، وسمى ذلك كله دينا، فإن النصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته على أكمل وجوهها وهو مقام الإحسان، فلا يكتمل النصح لله بدون ذلك ولا يتأتى ذلك بدون المحبة الواجبة والمستحبة، ويستلزم ذلك الاجتهاد في التقرب إليه بنوافل الطاعات على هذا الوجه وترك المحرمات والمكروهات على هذا الوجه أيضا[5].

والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم، وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم،

---

[1] الشرح مع الفتح ١٢/١٣٥.
[2] جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، ص ٥٩٧، ٥٩٨، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، الناشر مكتبة الحلواني، مكتبة دار البيان، ١٩٨٩م.
[3] البخاري مع الفتح، كتاب الآداب، باب ستر المؤمن على نفسه، حديث رقم [٦٠٦٩]، ١٠/٥٩٧.
[4] رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، ص ١٣٩.
[5] جامع العلوم والحكم، ١/١٧٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وستر عوراتهم، وسد خالاتهم، ونصرتهم على أعدائهم، والذب عنهم، ومجانبة الغش والحسد لهم، وأن لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه.

ومن أنواع نصحهم بدفع الأذى والمكروه عنهم، إيثار فقيرهم، وتعليم جاهلهم، ورد من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل، بالتلطف في ردهم إلى الحق، والرفق بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحبة إزالة فسادهم ولو بحصول ضرر لهم في دنياه، وهذا كله من باب التيسير[1]، والتيسير الذي قاله رسول الله ﷺ: "يسيروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا".

المقام الثالث: باب التوبة والكفارات:

وهذا مقام ثالث له علاقة وثيقة بما يقترن المسلم من أخطاء سواء كانت صغيرة أم كبيرة، وكذلك ما يدعو إليه الشيطان والنفس الأمارة بالسوء من انحراف عن الطريق المستقيم وارتكاب المحرمات وإقدام على المعاصي، وتقصير في أداء الواجبات، وغير خاف ان هذه الانحرافات والذنوب تولد عند المسلم ضيقا وحرجا وشعورا بالذنب والخطيئة، ولو استسلم المرء لها فإنها قد تدعو إلى الاستطالة في الانحراف واليأس من رحمة الله وانغلاق أبوب الأمل، فيقع في الألم والحرج النفسي الشديد، وقد ثم الإغراق في ارتكاب المنهيات من أجل هذا وأمثاله فإن الله سبحانه . رحمة بعباده . فتح لهم أبواب التوبة وكفارات الذنوب، فإذا ولج الإنسان هذه الأبواب معترفا بالذنب نادما عليه متوجها إلى ربه بعزيمة صادقة فسوف يجدها مفتوحة[2]، { قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[3]، { قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[4].

وبهذا يتبين للقارئ أصل الوثيقة بين موضوع التوبة والكفارات، وما نحن بصدده من بيان رفع الحرج ومن تفسيرات الحرج الوارد في القرآن الكريم ما نقل عن ابن عباس . رضي الله عنهما من أن ذلك "توسعة الإسلام ما جعل الله من التوبة والكفارات"[5].

---

[1] السابق، ١/١٧٠، ١٧٤، ١٧٥.
[2] رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، ص ١٤٠.
[3] سورة النساء [الآية: ١١٠].
[4] سورة الزمر [الآية: ٥٣].
[5] تفسير القرآن العظيم، محمد بن إدريس بن منذر التميمي الحنظلي الرازي بن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، ٨/٢٥٦، تحقيق م سعد محمد الطيب ، الناشر مكتبة نذار مصطفى الباز، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبناء على ذلك فإنني أوجز الكلام في مسألة الكفارات وأثرها في رفع الحرج.

الكفارات وأثرها في رفع الحرج:

لابن رجب في أصل هذا المعنى كلام جامع إذ يقول: المغفرة: ستر الذنوب، وقيل: وقاية شر الذنب مع ستره ولهذا يسمى ما ستر الرأس ووقاه في الحرب مِغفرا، ولا يسمى كل ساتر للرأس مغفرا. وقد أخبر الله عن الملائكة أنهم يدعون للمؤمنين التائبين بالمغفرة ووقاية السيئات. والتفكير عن هذا الجنس؛ لأن أصل الكفر الستر والتغطية أيضا[1].

الكفارات في نصوص الشرع:

بالنظر إلى النصوص الشرعية يلاحظ أن الكفارات على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما يصيب المسلم من البلايا والمحن والمصائب فيس نفسه أو ماله أو ولده، أو غير ذلك من مصائب الحياة ونوائب الدهر.

وقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة جدا منها: ما رواه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري . رضي الله عنهما . أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: "ما يصيب المؤمن من وصب ونصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر الله به سيئاته"[2]. وعن عائشة . رضي الله عنها . قالت: قال رسول: "ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله عنه بها حتى الشوكة يشاكها"، وفي رواية "إلا رفع الله درجة وحط عنه به خطيئة"[3].

والأحاديث في الباب كثيرة جدا يجل في هذا المقام حصرها، وإنما غرضنا التنبيه والتذكير بها، فهذه الأحاديث وأمثالها تدل على أن الله . سبحانه . بفضله ومنه وكرمه وسعة رحمته يكفر من سيئات عبده بما يحل به من مصائب في بدنه وماله وأهله، وهذا في الحقيقة فيه تنفيث عن العبد في الدنيا وإكسابه راحة نفسية وتخفيف الضيق الذي يحل به بهذه المصائب والنكبات ونوائب الدهر، وفي كل ذلك رفع واضح للحرج في الحياة الدنيا، أما في الآخرة فحط للخطيئات ورفع للدرجات وزيادة في الحسنات[4].

يقول ابن رجب في المكفرة بعمل صالح:

إن المكفرة بعمل صالح تكون كفارة لها أولى ويحتمل معنيين آخرين:

---

[1] جامع العلوم والحكم، ١٩٠/٢.

[2] مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، حديث رقم [٢٥٧٣]، ١٢١/١٦.

[3] المصدر السابق، نفس الموضع، حديث رقم [٢٥٧٢].

[4] رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، ص ١٤٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحدهما: أن المغفرة لا تحصل إلا مع عدم العقوبة والمؤاخذة؛ لأنها وقاية شر الذنب بالكلية، والتفكير قد يقع بعد العقوبة، فإن المصائب الدنيوية كلها مكفرات للخطايا، وهي عقوبات، وكذلك العفو يقع مع العقوبة وبدونها، وكذلك الرحمة.

والثاني: أن الكفاءات من الأعمال ما جعلها الله لمحو الذنوب المكفرة بها، ويكون ذلك هو ثوابها ليس له ثواب غيره، والغالب عليها أن تكون من جنس مخالفة هوى النفس وتجشم المشقة فيه اجتناب الكبائر الذي جعله الله كفارة للصغائر. وأما الأعمال التي تغفر بها الذنوب فهي ما عدا ذلك، ويجتمع فيها المغفرة والثواب عليها كالذكر الذي تكتب به الحسنات وتمحى به السيئات[1].

النوع الثاني: ويتمثل فيما يقوم به المسلم من الفرائض والتطوعات، ويكاد يشمل جميع أنواع العبادات من طهارة وصلاة وصيام وصدقات وحج وجهاد ونحوها، وقد ألف الحافظ بن حجر في ذلك رسالة مستقلة سماها (الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة) مشيرا بهذه التسمية إلى ما يرد في ألفاظ بعض الأحاديث النبوية (غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر). وقد قال في مقدمتها: "هذه أحاديث نبوية تتبعها من كتب غريبة ومشهورة وكلها داخلة تحت معنى واحد رائق هو العمل بما ورد الوعد فيه بغفران ما تقدم من الذنوب وما تأخر على لسان المصدوق الصادق[2].

وإليك طائفة من الأحاديث من أبواب متفرقة على طريق الإيجاز:

١ . عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله يقضي فريضة من فرائض الله كان خطواته أحدها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة"[3].

٢ . عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصا فقد لغى"[4].

٣ . ويقول . سبحانه وتعالى . في فضل الصدقات: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾[5].

---

[1] جامع العلوم والحكم، ١٩٠/٢، ١٩١.
[2] مقدمة رسالة ابن حجر (الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتاخرة) وهي مطبوعة مع مجموعة رسائل أخرى في أصول الدين والعبادات.
[3] مسلم مع النووي، ١٦٩/٥.
[4] مسلم مع النووي، ١٤٦/٥.
[5] سورة البقرة [الآية: ٢٧١].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول ابن رجب في قوله . تعالى .: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾ [1] فرتب
التقوى المتضمنة لفعل الواجبات، وترك المحرمات تكفير السيئات وتعظيم
، وأخبر الله عن المؤمنين المتفكرين في خلق السموات والأرض أنهم قالوا
قال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا
وتغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع ٱلْأَبْرَارِ ۝١٩٣ ﴾ [2].
فأخبر أنه استجاب لهم ذلك، وأنه كفر عنهم سيئاتهم، وأدخلهم الجنات،وقوله تعالى: ﴿
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ
ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤ ﴾ محض الله الذنوب بالمغفرة والسيئات بالتفكير فقد
يقال: السيئات تمح الصغائر، والذنوب يراد بها الكبائر، فالسيئات تكفر؛ لأن الله جعل
لها كفارات في الدنيا شرعية وقدرية، والذنوب تحتاج إلى مغفرة تقي صاحبها من
شرها، والمغفرة والتكفير يتقاربان[3].

٥. قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها
وخالق الناس بخلق حسن".

قال ابن رجب في شرح الحديث: "لما كان العبد مأمورا بالتقوى في السر والعلانية مع
أنه لا بد أن يقع منه أحيانا تفريط في التقوى إما بترك بعض المأمورات أو بارتكاب
بعض المحظورات فأمره بأن يفعل ما يمحو به هذه السيئة، وأن يتبعها بالحسنة، قال
الله عز وجل: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ
يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤ ﴾ [4] .. إلى أن قال: وقد وصف
الله المتقين في كتابه بمثل ما وصى به النبي ﷺ في هذه الوصية بقوله عز وجل:
قال تعالى: ﴿ * وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ۝١٣٤ ﴾
... إلى قوله . سبحانه .: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ

---

[1] سورة الطلاق [الآية: ٥].
[2] سورة آل عمران [الآية: ١٩٣].
[3] جامع العلوم والحكم، ١٨٩/٢، ١٩٠.
[4] سورة هود [الآية: ١١٤].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (١).

قال ابن رجب: فوصف المتقين بأنهم إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم،ولم يصروا على ما فعلوا، فدل على أن المتقين قد يقع منهم أحيانا كبائر وهي الفواحش وصغائر، وهي ظلم النفس، لكنهم لا يصرون عليها بل يذكرون الله عقب وقوعها ويستغفرون ويتوبون إليه. والتوبة هي ترك الإصرار (٢).

المبحث الثالث: تطبيقات دعوية للداعية في دعوته

ومن التطبيقات الدعوية المستفادة من هذا المبحث تطبيقا على قاعدة المشقة تجلب التيسير وما تفرع عنها ما يلي:

١ . اليسر والبشارة أصل في أمور الدعوة، وهذا يقتضي البعد عن التكلف والتنطع والإعفاء، وتحميل الناس ما يشق عليهم أو ينفرهم مما ليسوا ملزمين به شرعا. وهذا يقتضي مراجعة الأساليب الدعوية، فإن بعضها فيه نوع إثقال يمكن التخفف منه، وربما أورثت نتيجة عكسية.

٢ . عندما يجد الداعية العالم أو المربي عناصر أقل جودة تحمل عنه العلم وأبجديات الدعوة، فلا يزهد فيها بحجة عدم وجود العناصر الممتازة من طلاب العلم، فإن حاجة المجتمع ماسة لكل أبنائه، ولو ذهبنا إلى هذا الاشتراط لخلت كثير من الثغور، ولكنه التسديد والمقاربة التي أمرنا بها شرعا.

٣ . حين يصطدم الداعية ببعض المعوقات التي لا يخلو منها طريق الدعوة كما قال تعالى :: {قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (٣)، ويترتب على هذه المعوقات عدم قدرة الداعي على إنجاز الواجب الشرعي المناط به، أو القصور عن بلوغ المدى التي اخططه لنفسه، فإن واجبه أن يسعى لتذليل الصعاب على قدر الجهد والطاقة، وبعد ذلك فما يعجز عنه فهو معذور فيه، وليس أهلا للوم بعد ذلك.

٤ . الداعية والمربي حين يواجه واقعا يحتاج إلى صبر ، وتدرج في الإصلاح فهذه الحالة هي من العسر الذي يجلب تيسيرا، بل لأن من التدرج حينئذ باعتبار أن الدعوة

---

(١) سورة آل عمران [الآية: ١٣٣، ١٣٦].
(٢) جامع العلوم والحكم، ١٥٨/٢، ١٥٩.
(٣) سورة العنكبوت [الآية: ٢، ٣].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واجبة، ولا يتم القيام بها إلا بهذه الطريقة، والقاعدة الشرعية تقول: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) [1].

٥. الدعوة إلى الله عز وجل واجبه على كل قادر، وهي حمل عظيم لا يستطيع النهوض به فرد واحد فوجود هذا العبأ العظيم يقتضي التعاون في أداءه، وتوزيع المهام على كل قادر، وألا نترك أهل الهمم العليا، ومن هم في الطريق بل نتعاون تعاونا تكامليا، دون أن ننظر إلى وكذا إسهام البعض بعين الانتقاص[2].

٦. أن يجمع الداعية بين فضيلتين هما:

أ. تأليف القلوب.

ب. التيسير ورفع الحرج.

والداعية الناجح هو الذي يفقه بيئة دعوته ويعمل على تأليف قلوبهم وإن خالف في ذلك ما يراه مستحبا ففي ذلك نجاح للدعوة والداعية وسلامة للمدعوين[3].

يقول الإمام ابن تيمية في هذا: "ولو كان الإمام يحري استحباب شيء والمأمومون لا يستحبونه فتركه لأجل الإتقان والائتلاف كان قد أحسن"[4].

فعلى الدعاة أن يسلكوا هذا الطريق ويتبعوا خطاه ففيه الفوز في الدارين، "فالله تعالى . بعث محمدًا ﷺ بالكتاب والحكمة وجعله رحمة للعباد وهاديا لهم يأمر كل إنسان بما هو أصلح له، فعلى المسلم أن يكون ناصحا للمسلمين يقصد لكل إنسان ما هو أصلح له"[5].

---

[1] دراسات في أصول الفقه، د. عبد الفتاح الشيخ، القسم الثاني، الدراسات النصية، ص ٢٢.

[2] القواعد الفقهية الكلية وما يندرج تحتها من قواعد جزئية (وتطبيقاتها الدعوية)، ص ٧، د/ عبد الرحمن بن أحمد الجرعي، جامعة الملك خالد، كلية الشريعة.

[3] أولويات الدعوة في فكر ابن تيمية، ص ١٤٣.

[4] مجموع الفتاوى ٢٧٢/٢٢، دار الرحمة، الرياض، بدون تاريخ.

[5] السابق، ٤٢٨/١٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

أولا: النتائج:

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١ . وجود قواعد قانونية (فقهية في نصوصها ومضمونها) ملزمة للناس عامة وللدعاة خاصة.

٢ . ضرورة تفعيل المؤسسات الدينية (الأزهر والأوقاف) في تجديد الخطاب الديني بما يتلاءم مع الواقع المعاصر.

٣ . معاودة النظر في اجتهادات أصحاب المذاهب الإسلامية . من وجهة نظر الباحث . بحثا واستدلالا وتصنيفا؛ لأن المسافة شاسعة، ولكن متطلبات الواقع والشريعة الإسلامية التي تصلح لكل زمان ومكان تتطلب المراجعة والتقويم والتصويب.

٤ . ضرورة إلزام الجهات المختصة بإنشاء مراكز تدريب للدعاة لإكسابهم مهارات تجديد الخطاب الديني بما يتوافق مع الواقع المعايش.

٥ . يرى الباحث ضرورة إنشاء مراكز متخصصة حديثة (تنمية بشرية وإدارية) للدعاة لتنمية مهاراتهم لمخاطبة المعنيين.

٦ . إلزام الدعاة بضرورة إحياء باب الاجتهاد الدعوي والفكري، حيث باب ندفع ثمن فقدانه مع أنه باب إسلامي متفق عليه لا بد من إحيائه.

٧ . ضرورة توافق وتجديد الشواهد والاستدلالات التطبيقية الدعوية والفكرية بما يتماشى مع المستجدات والأحداث المعاصرة.

٨ . أهمية إبراز رموز الأمة ، والرواد الأئمة، ممن سطروا حياتهم بأقلام من نور وبذلوا حياتهم جهادا عن الدين والوطن، الذين أكسبهم الله الفهم الصحيح بنوعين:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه. وثانيهما: الواجب في الواقع (وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الواقع) [١].

وهذا أولى من دراسة الشخصيات التي عاشت لنفسها بعيدة عن هدي ربها، ومشاكل مجتمعها، وأتذكر هنا قول الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: "سيحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور"[٢].

- إعلام الموقعين ١/٨٧، ٨٨.
- شرح القواعد الفقهية للزرقا، ص ٢٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيًا التوصيات:

بعد أن تعرفنا على أهم النتائج أود أن أوصي إخواني الدعاة إلى الله عز وجل، لا على أفضلية أو تزكية، وإنما من باب قوله . تعالى .!!: { قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾

}[1] هذه التوصيات:

١ . الحضد على إجراء الصياغة التأصيلية للقيم التربوية والأخلاقية المستنبطة من القواعد الفقهية، ورسم خريطة لربطها بالواقع كي يصبح عملا موسوعيا.

٢ . أوصي بضرورة اشتمال التعليم على مختارات من القواعد الفقهية والاستفادة منها في مادة دراسية لتوسيع مدارك الدعاة دراسيا ووظيفيا، لكونها إنموذجا لتربية إسلامية مواكبة لتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد، حتى يرسخ مفهوم التحديث والتجديد للخطاب الديني، التي تعتبر زاد الداعية المعاصر ودليلا ومرشدا للمدعوين وحصنا للدعوة الإسلامية خاصة في ظل العواصف التي تعصف بالإسلام والمسلمين تعصبا للرأي والنفس والهوى وفرض الرأي على الآخرين بالقوة والغلبة عن طريق الاتهام بالابتداع أو بالكفر أو المروق، وهذا الإرهاب الفكري أشد تخويفا من الإرهاب بالسلاح.

٣ . ضرورة تفعيل دور الاجتهاد المطلوب لعصرنا وهو نوعان:

أولاً الاجتهاد الانتقائي: وهو: اختيار أحد الآراء المنقولة في تراثنا الفكري العريض للفتوى أو القضاء به ترجيحا له على غيره من الآراء والأقوال الأخرى، أو بمعنى آخر: توازن بين أدلة نصية أو اجتهادية لنختار في النهاية ما نراه أقوى حجة وأرجح دليلا وفق معايير الترجيح وهي كثيرة، ومنها: أن يكون القول أليق بأهل زماننا، وأرفق بالناس، وأقرب إلى يسر الشريعة وأولى بتحقيق مقاصد الشرع ومصالح الخلق ودرء المفاسد عنهم.

ثانيًا الاجتهاد الإنشائي:

ونعني به استنباط حكم جديد في مسألة من المسائل لم يقل به أحد من السابقين سواء كانت المسألة قديمة أم جديدة، وأكثر ما يكون الاجتهاد الإنشائي في المسائل والقضايا المعاصرة الجديدة التي لم يعرفها السابقون ولم تكن في أزمانهم أو عرفوها في صورة مصغرة بحيث لا تكون مشكلة ولا تدفع الداعية الفقيه إلى البحث عن حل

[1] . سورة العصر [الآية: ١، ٢، ٣].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لها باجتهاد جديد، فكما أن الحاجة هي التي تدفع إلى الاختراع فإن معاناة المشكلة هي التي تدفع إلى الاجتهاد.

وعليه لا بد من ضرورة تفعيل دور الاجتهاد الفقهي الدعوي الجماعي للخروج بمنظومة تقعيدية لرصد المعوقات الدعوية بآلية منهجية نحو القضايا المستجدة والأمور المستحدثة.

٤ . إلزام الجهات المعنية بضرورة مسايرة الواقع التكنولوجي الحديث في وسائل الاتصال لنشر الدعوة بما يحقق الأمن المعلوماتي والأمن الفكري.

٥ . مراعاة منهج التجديد في الخطاب الدعوي المتمثل في الجمع بين ثبات الأحوال وتطور الفهوم ومثالية القيم وواقعية الفطرة.

وبهذه الصفة يصير التجديد فريضة يدعو إليها الدين، بل وضرورة لتطبيق التطبيق الصحيح في الحياة.

٦ . استقراء تاريخ الإسلام لإدراك أن الحضارة الإسلامية كانت تقوي وتزدهر كلما فطن المسلمون لضرورة الاستفادة . في مجال العلوم . من تجارب الأمم الأخرى.

وعلى هذا فمن الضروري نبذ التقليد وإعادة النظر في المصطلحات الدينية والفكرية وغيره، ليتضح لكل ذي عين وعقل وفكر جلال هذه الدين وقداسته وإنسانية شريعته.

ويتأكد لديه أن الإسلام هو الدين الوحيد القادر على إسعاد الإنسان وتلبية رغباته وميوله، دون إضرار بالآخرين، وتلك خاصية ينفرد بها هذا الدين.

وبهذا يتضح الطريق أمام السالك، ويسهل على الدعاة التمييز بين أمور الدين، فيستطيعوا التفرق بين المهم من الأهم، والأخص من الأعم، في ظل هذه الظروف الحوالك، بفهم أفقاه الدعوة السالفة[1]، وتقديم المهمات من الصالحات، والموازنة بين المصالح والمفاسد، وعليه تعود الدعوة الإسلامية إلى سالف عهدها بفهم وفكر دعاتها وتواجه كيد عدوها، وتنشر بين العالمين هدي ربها . تعالى . ورسوله صلى الله عليه وسلم.

[1] - فقه الواقع ـ فقه الأولويات ـ فقه المقاصد ـ فقه الموازنة ـ فقه المآل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع

١. الاجتهاد الجماعي للتشريع الإسلامي د/ عمر عبيد حسنه، سلسلة كتاب الأمة العدد الثاني وستون الناشر مركز البحوث والدراسات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية القطرية ٠

٢. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام محمد بن على بن محمد الشوكاني ت(١٢٥٥ هـ)، ط دار لكتب العلمية – بيروت.

٣. أساس البلاغة، محمود بن عمرو الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، ط دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤. الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، د/ عبد الوهاب كحيل، ط عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٥. الأسئلة والأجوبة في القرآن الكريم، عفاف محمد سعيد، رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.

٦. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١ هـ ط دار إحياء الكتب العربية عيسى الباب الحلبي القاهرة ٠

٧. أصح الكلام في سيرة خير الأنام، السيرة النبوية، د/ علي محمد الصلابي، ط التوفيقية.

٨. أصول الأحكام الشرعية، د / يوسف قاسم الطبعة ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ٠

٩. أصول الدعوة عبد الكريم زيدان، ط مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٠. الأصول العامة لوحدة الدين د / وهبة الزحيلي الطبعة الأولى ١٩٧٢ م ٠

١١. أضواء على الثقافة الإسلامية د / نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م.

١٢. الإعلام موقف لمحمود محمد نصر، ط الكتاب العربي السعودي، الطبعة الأولى.

١٣. إنجيل متى، الإصدار التاسع، ط بيروت، الطبعة الرابعة.

١٤. أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة د / يوسف القرضاوي ط الرسالة للنشر والتوزيع الطبعة ٢٠٠١م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٥.بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي توفي ٩١١هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط المكتبة العصرية، بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، الطبعة الأولى.
١٦.تاريخ التشريع والفقه الإسلامي د/أحمد الطيان ط دار إشبيليا، السعودية الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١٧.تأملات في فقه الدعوى أ ٠ د / مطلعت عفيفي، د / جمال عبد الستار محمد عبدالوهاب، ط الجمعية الشرعية الرئيسية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية هيئة العلماء مصر – إعداد الدعاة .
١٨.تفسير ابن كثير دار عالم الكتب الرياض – الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ ١٩٩٦ م ٠
١٩.تفسير القرآن العظيم، محمد بن إدريس بن منذر التميمي الحنظلي الرازي، أبي حاتم (ت٣٣٧هـ)، تحقيق م سعد محمد الطيب ، الناشر مكتبة نزار مصطفى البازه، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
٢٠.التفسير الكبير لابن تيمية، ط دار الكتب العلمية، بيروت.
٢١.جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، الناشر مكتبة الحلواني، مكتبة دار البيان، ١٩٨٩م.
٢٢.الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي، ط دار غريب للطباعة القاهرة
٢٣.الخطاب الإسلامي وقفة للمناصحة، عمر عبيد حسنة، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٢٤.دراسات في أصول الفقه، د. عبد الفتاح الشيخ، القسم الثاني، الدراسات النصية.
٢٥.دراسات في الدعوة الإسلامية د / عبد القادر سيد عبد الرؤوف، ط وزارة الأوقاف – مصر .
٢٦.الدعوة الإسلامية والإعلام الديني، د. عبد الله شحاته، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
٢٧.رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ضوابطه وتطبيقاته، رسالة دكتوراه، صالح بن عبد الله بن حميد، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٨.سلسلة مدرسة الدعاة فصول هادفة في فقه الدعوة والداعية. عبد الله ناصح علوان، ط دار السلام، مصر، الطبعة السابعة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٢٩.عدة الداعية، د. فرج محمد الوصيف، ط إياك كويس سنتر، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٣٠.فقه الأولويات، محمد الوكيلي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٧م.
٣١.فقه التدين فهما وتنزيلا د / عبد المجيد النجار، سلسلة كتاب الأمة العدد الثاني والعشرون مركز البحوث والدراسات وزارة الأوقاف القطرية .
٣٢.فقه السنة، السيد سابق، ط الفتح الإعلامي العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٣٣.فقه الواقع للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ت (١٤٢٠ هـ) ط دار الجلالين للنشر والتوزيع – الرياض – السعودية – الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
٣٤.في فقه الأولويات، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٣٥.القواعد الفقهية الكلية وما يندرج تحتها من قواعد جزئية (وتطبيقاتها الدعوية)، د/ عبد الرحمن بن أحمد الجرعي، جامعة الملك خالد، كلية الشريعة.
٣٦.القواعد الفقهية مفهومها، نشأتها، تطورها، دراسة مؤلفاتها، أدلتها، مهمتها، تطبيقاتها لعلى أحمد الندوي تقديم مصطفى الزرقا، ط دار القلم – دمشق – الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ – ١٩٩٨ م .
٣٧.القواعد الكبرى الموسوم بقواعد الأحكام في إصلاح الأنام لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) تحقيق د/نزيه كمال وعثمان جمعة،ط دار القلم،دمشق،الطبعة الرابعة ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠م.
٣٨.كيف نفهم وسائل الاتصال لمارشال ماك لوهان، ط دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة ١٩٧٥م، ترجمة خليل صابات وآخرين.
٣٩.لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الأفريقي المصري الأنصاري الخزرجي، ط د المعارف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤٠.المدخل إلى علم الدعوة دراسة منهجية شاملة لمحمد أبو الفتح البيانوني، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤١.المستدرك على الصحيحين، للحاكم، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.
٤٢.المستصفى من علم الأصول لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ومعه كتاب فواتح الرحموت لعبد العلي محمد نظام الدين الأنصاري، ط دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.
٤٣.المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف ب (الراغب الأصفهاني) ت ٥٠٢ هـ، مكتبة مصطفى نزار الباز مكة – الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م .
٤٤.من أجل حوار لا يفسد للود قضية، د. محمد محمود عمارة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٤٥.مناهج الدعوة الإسلامية وأساليبها ووسائلها، د/ ماجد عبد اللام إبراهيم، ط مكتبة الجامعة الأزهرية، أسيوط، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
٤٦.مناهج الدعوة، د/ جلال بشارة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
٤٧.مهارات التدريس رؤية في نقل التدريس لحسن حسين زيتون ط عالم الكتب – القاهرة – الطبعة ٢٠٠١م.
٤٨.الموافقات، للشاطبي، ط المدني وصبيح، القاهرة.
٤٩.وسائل الإعلام والتنمية الاجتماعية، د/ شاهنياز طلعت، ط مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Inferred vague Holy Qur'an

Researcher / Amer Ahmed Ali Amer
Faculty of Arts - Menoufia University - to get a master's degree
Under supervision
D / Yasser Attia Saidi
Professor of Islamic Studies Department of Arabic Language
Faculty of Arts, University of Menoufia

Abstract
This paper presents three models to deduce the commentators, the difference in their schools explanatory, a vague Koran holy Koran, and discusses the Astdalalathm, trying to conclude a scientific approach to deal with this vague, and not only to the likelihood of consensus opinion on everything else.
What is meant here Balmpehm "as mentioned in the Koran without his name, and not appointed by the number or duration or place or ratios or event" .
The importance of this research in the interpretation of the Holy Qur'an comes at the forefront of ways of interpretation, however, some confusion in the ways of reasoning might occur as a result of a partial view, a citizen in the Koran without the other, or the omission of what does not improve overlooked, or stick to the apparent meaning of the Quranic text without access to Aahath and its contents, and what they can afford to language of meanings and purposes, probably does not apparent by the text ... etc.
For this and other it was necessary scientific approach that must be respected interpreter of the Holy Qur'an, and then inferred the Holy Quran vague mode, which tries to look to play
..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner